تفسير سورة ص

آياتها ست وثمانون . وقيل خمس وثمانون . وقيل : ثمان وثمانون آية . وهى مكية . قال القرطبى : فى قول الجميع . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال : نزلت سورة « ص » بمكة . وأخرج ابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد ، والترمذى وصححه ، والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل ، فقال : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنهيته ، فبعث إليه فجاء النبى ﷺ فدخل البيت ، وبينهم وبين أبى طالب قدر مجلس رجل ، فخشى أبو جهل أن يجلس إلى أبى طالب ويكون أرقى عليه ، فوثب فجلس فى ذلك المجلس ، فلم يجد رسول الله ﷺ مجلسًا قرب عمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أى ابن أخى ، ما بال قومك يشكونك ؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ، قال : وأكثروا عليه من القول ، وتكلم رسول الله ﷺ فقال : « يا عم ، إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى إليهم بها العجم الجزية » ، ففزعوا لكلمته ولقوله ، فقال القوم : كلمة واحدة ؟ نعم وأبيك عشرًا ، قالوا : فما هى ؟ قال : « لا إله إلا الله » ، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ **أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب** ﴾ فنزل فيهم : ﴿ **ص والقرآن ذى الذكر** ﴾ إلى قوله : ﴿ **بل لما يذوقوا عذاب** ﴾ (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**

---

(١) ابن أبى شيبة فى المغازى (١٨٤١٣) وأحمد ١/ ٢٢٧ والترمذى فى التفسير (٣٢٣٢) وقال : « هذا حديث حسن » والنسائى فى الكبرى فى السير (٨٧٦٩/ ١) وابن جرير ٢٣/ ٧٩ ، وصححه الحاكم ٢/ ٤٣٢ ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٤٥ وأخرجه أبو يعلى (٢٥٨٣) .

وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ (١٠) جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ (١١) ﴾ .

قوله : ﴿ **ص** ﴾ قرأ الجمهور بسكون الدال كسائر حروف التهجى فى أوائل السور فإنها ساكنة الأواخر على الوقف . وقرأ أبى بن كعب والحسن وابن أبى إسحاق ونصر بن عاصم وابن أبى عبلة وأبو السماك بكسر الدال من غير تنوين ، ووجه الكسر أنه لالتقاء الساكنين . وقيل : وجه الكسر : أنه من صادى يصادى إذا عارض ، والمعنى : صاد القرآن يعملك ، أى عارضه بعملك وقابله فاعمل به ، وهذا حكاه النحاس عن الحسن البصرى وقال : إنه فسر قراءته هذه بهذا، وعنه أن المعنى : ائته وتعرض لقراءته . وقرأ عيسى بن عمر : « صاد » بفتح الدال ، والفتح لالتقاء الساكنين . وقيل : نصب على الإغراء . وقيل : معناه : صاد محمد قلوب الخلق واستمالها حتى آمنوا به ، ورويت هذه القراءة عن أبى عمرو ، وروى عن ابن أبى إسحاق أيضًا أنه قرأ : « صاد » بالكسر والتنوين تشبيهًا لهذا الحرف بما هو غير متمكن من الأصوات . وقرأ هارون الأعور وابن السميقع : « صاد » بالضم من غير تنوين على البناء نحو : منذ وحيث .

وقد اختلف فى معنى « صاد » فقال الضحاك : معناه : صدق الله . وقال عطاء : صدق محمد . وقال سعيد بن جبير : هو بحر يحيى الله به الموتى بين النفختين . وقال محمد بن كعب: هو مفتاح اسم الله . وقال قتادة : هو اسم من أسماء الله . وروى عنه أنه قال : هو اسم من أسماء الرحمن . وقال مجاهد : هو فاتحة السورة . وقيل : هو مما استأثر الله بعلمه ، وهذا هو الحق كما قدمنا فى فاتحة سورة البقرة . قيل : وهو إما اسم للحروف مسرودًا على نمط التعبد أو اسم للسورة ، أو خبر مبتدأ محذوف . أو منصوب بإضمار : اذكر أو اقرأ . والواو فى قوله : ﴿ **والقرآن ذى الذكر** ﴾ : هى واو القسم ، والإقسام بالقرآن فيه تنبيه على شرف قدره وعلو محله ، ومعنى﴿ **ذى الذكر** ﴾ : أنه مشتمل على الذكر الذى فيه بيان كل شىء . قال مقاتل : معنى : ﴿ **ذى الذكر** ﴾ : ذى البيان . وقال الضحاك : ذى الشرف كما فى قوله : ﴿أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم ﴾ [الأنبياء : ١٠] أى شرفكم ، وقيل : أى ذى الموعظة .

واختلف فى جواب هذا القسم ما هو ؟ فقال الزجاج والكسائى والكوفيون غير الفراء : إنه قوله: ﴿ إن ذلك لحق ﴾ [ص : ٦٤] . وقال الفراء : لا نجده مستقيمًا لتأخره جدًا عن قوله: ﴿ **والقرآن** ﴾ ورجح هو وثعلب أن الجواب قوله: ﴿ **كم أهلكنا** ﴾ وقال الأخفش : الجواب هو: ﴿ **إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب** ﴾ وقيل : هو صاد ، لأن معناه : حق ، فهو جواب لقوله : ﴿ **والقرآن** ﴾ كما تقول : حقًا والله ، وجب والله . ذكره ابن الأنبارى ، وروى أيضًا عن ثعلب والفراء ، وهو مبنى على أن جواب القسم يجوز تقدمه وهو ضعيف . وقيل : الجواب محذوف ، والتقدير : والقرآن ذى الذكر لتبعثن ونحو ذلك . وقال ابن عطية : تقديره ما الأمر كما يزعم الكفار ، والقول بالحذف أولى ، وقيل : إن قوله : ﴿ **ص** ﴾ مقسم به ، وعلى هذا القول تكون الواو فى ﴿ **والقرآن** ﴾ للعطف عليه ، ولما كان الإقسام بالقرآن دالا على صدقه ،

وأنه حق ، وأنه ليس بمحل للريب قال سبحانه : ﴿ **بل الذين كفروا فى عزة وشقاق** ﴾ فأضرب عن ذلك وكأنه قال : لا ريب فيه قطعًا ، ولم يكن عدم قبول المشركين له لريب فيه . بل هم فى عزة عن قبول الحق، أى تكبر وتجبر. وشقاق : أى وامتناع عن قبول الحق ، والعزة عند العرب : الغلبة والقهر ، يقال : من عزَّ بزَّ ، أى من غلب سلب، ومنه: ﴿ وعزنى فى الخطاب ﴾ [ص : ٣٢] أى غلبنى ، ومنه قول الشاعر :

يعـــز على الطـــريـق بمنكبيه كما ابترك الخليع على القداح

والشقاق : مأخوذ من الشق وقد تقدم بيانه . ثم خوفهم سبحانه وهددهم بما فعله بمن قبلهم من الكفار فقال : ﴿ **كم أهلكنا من قبلهم من قرن** ﴾ يعنى : الأمم الخالية المهلكة بتكذيب الرسل ، أى كم أهلكنا من الأمم الخالية الذين كانوا أمنع من هؤلاء وأشد قوة وأكثر أموالاً ، وكم هى الخبرية الدالة على التكثير ، وهى فى محل نصب بأهلكنا على أنها مفعول به ، و﴿ **من قرن** ﴾ تمييز ، و« من » فى : ﴿ **من قبلهم** ﴾ هى لابتداء الغاية . ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ النداء هنا هو : نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم ، وليس الحين حين مناص . قال الحسن : نادوا بالتوبة وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل . والمناص مصدر ناص ينوص ، وهو الفوت والتأخر . ولات بمعنى : ليس ، بلغة أهل اليمن . وقال النحويون : هى لا التى بمعنى ليس زيدت عليها التاء كما فى قولهم : رب وربت ، وثم وثمت قال الفراء : النوص : التأخر ، وأنشد قول امرئ القيس :

أمن ذكر ليلى إذ نأتك تنوص

قال : يقال : ناص عن قرنه ينوص نوصًا ، أى فر وزاغ . قال الفراء : ويقال : ناص ينوص : إذا تقدم . وقيل : المعنى : أنه قال بعضهم لبعض : مناص ، أى عليكم بالفرار والهزيمة ، فلما أتاهم العذاب قالوا : مناص ، فقال الله : ﴿ **ولات حين مناص** ﴾ قال سيبويه: لات مشبهة بليس ، والاسم فيها مضمر ، أى ليس حيننا حين مناص . قال الزجاج : التقدير : وليس أواننا . قال ابن كيسان : القول كما قال سيبويه ، والوقف عليها عند الكسائى بالهاء ، وبه قال المبرد والأخفش . قال الكسائى والفراء والخليل وسيبويه والأخفش : والتاء تكتب منقطعة عن حين ، وكذلك هى فى المصاحف . وقال أبو عبيد : تكتب متصلة بحين ، فيقال : « ولا تحين » ومنه قول أبى وجزة السعدى :

العاطفون تحين مـا من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم

وقد يستغنى بحين عن المضاف إليه كما قال الشاعر :

تذكر حب ليـــلى لات حينـا وأمسى الشيب قد قطع القرينا

قال أبو عبيد : لم نجد العرب تزيد هذه التاء إلا فى حين وأوان والآن . قلت : بل قد

يزيدونها فى غير ذلك كما فى قول الشاعر :

فلنعرفن خلائقــًا مشـمولة ولتندمن ولات ساعة مندمة

وقد أنشد الفراء هذا البيت مستدلاً به على أن من العرب من يخفض بها ، وجملة : ﴿**ولات حين مناص**﴾ فى محل نصب على الحال من ضمير نادوا . قرأ الجمهور : ﴿ **لات** ﴾ بفتح التاء ، وقرئ : « لات » بالكسر كجير . ﴿ **وعجبوا أن جاءهم منذر منهم** ﴾ أى عجب الكفار الذين وصفهم الله سبحانه بأنهم فى عزة وشقاق أن جاءهم منذر منهم ، أى رسول من أنفسهم ينذرهم بالعذاب إن استمروا على الكفر ، وأن وما فى حيزها فى محل نصب بنزع الخافض ، أى من أن جاءهم ، وهو كلام مستأنف مشتمل على ذكر نوع من أنواع كفرهم . ﴿**وقال الكافرون هذا ساحر كذاب** ﴾ قالوا : هذا القول لما شاهدوا ما جاء به من المعجزات الخارجة عن قدرة البشر ، أى هذا المدعى للرسالة ساحر فيما يظهره من المعجزات كذاب فيما يدعيه من أن الله أرسله . قيل : ووضع الظاهر موضع المضمر ؛ لإظهار الغضب عليهم وأن ما قالوه لا يتجاسر على مثله إلا المتوغلون فى الكفر .

ثم أنكروا ما جاء به ﷺ من التوحيد وما نفاه من الشركاء لله فقالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلها واحدًا** ﴾ أى صيرها إلهًا واحدًا وقصرها على الله سبحانه ﴿ **إن هذا لشىء عجاب** ﴾ أى لأمر بالغ فى العجب إلى الغاية . قال الجوهرى : العجيب : الأمر الذى يتعجب منه ، وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد أكثر منه ، قرأ الجمهور : ﴿ **عجاب** ﴾ مخففًا . وقرأ على والسلمى وعيسى بن عمر وابن مقسم بتشديد الجيم . قال مقاتل : عجاب يعنى بالتخفيف لغة أزد شنوءة . قيل : والعجاب بالتخفيف والتشديد يدلان على أنه قد تجاوز الحد فى العجب ، كما يقال : الطويل الذى فيه طول ، والطوال : الذى قد تجاوز حد الطول ، وكلام الجوهرى يفيد اختصاص المبالغة بعجاب مشدد الجيم لا بالمخفف ، وقد قدمنا فى صدر هذه السورة بسبب نزول هذه الآيات . ﴿ **وانطلق الملأ منهم** ﴾ المراد بالملأ : الأشراف ، كما هو مقرر فى غير موضع من تفسير الكتاب العزيز ، أى انطلقوا من مجلسهم الذى كانوا فيه عند أبى طالب كما تقدم قائلين : ﴿ **أن امشوا** ﴾ أى قائلين لبعضهم بعضًا : امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا فى دينه . ﴿ **واصبروا على آلهتكم** ﴾ أى اثبتوا على عبادتها . وقيل : المعنى : وانطلق الأشراف منهم فقالوا للعوام : امشوا واصبروا على آلهتكم ، و« أن » فى قوله : ﴿ **أن امشوا** ﴾ هى المفسرة للقول المقدر ، أو لقوله : ﴿ **وانطلق** ﴾ لأنه مضمن معنى القول ، ويجوز أن تكون مصدرية معمولة للمقدر أو للمذكور ، أى بأن امشوا . وقيل : المراد بالانطلاق : الاندفاع فى القول ، وامشوا من مشت المرأة : إذا كثرت ولادتها ، أى اجتمعوا وأكثروا ، وهو بعيد جدا ، وخلاف ما يدل عليه الانطلاق والمشى بحقيقتهما ، وخلاف ما تقدم فى سبب النزول ، وجملة ﴿**إن هذا لشىء يراد** ﴾ تعليل لما تقدمه من الأمر بالصبر : أى يريده محمد بنا وبآلهتنا ، ويود تمامه ليعلو علينا ، ونكون له أتباعًا فيتحكم فينا بما يريد ، فيكون هذا الكلام خارجا مخرج

التحذير منه والتنفير عنه . وقيل : المعنى : إن هذا الأمر يريده الله سبحانه ، وما أراده فهو كائن لا محالة ، فاصبروا على عبادة آلهتكم . وقيل : المعنى : إن دينكم لشىء يراد ، أى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه ، والأول أولى .

﴿ **ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة** ﴾ أى ما سمعنا بهذا الذى يقوله محمد من التوحيد فى الملة الآخرة . وهى ملة النصرانية فإنها آخر الملل قبل ملة الإسلام ، كذا قال محمد بن كعب القرظى وقتادة ومقاتل والكلبى والسدى. وقال مجاهد : يعنون ملة قريش ، وروى مثله عن قتادة أيضًا . وقال الحسن : المعنى : ما سمعنا أن هذا يكون آخر الزمان . وقيل : المعنى : ما سمعنا من اليهود والنصارى أن محمدًا رسول ﴿ **إن هذا إلا اختلاق** ﴾ أى ما هذا إلا كذب اختلقه محمد وافتراه . ثم استنكروا أن يخص الله رسوله بمزية النبوة دونهم فقالوا : ﴿ **أأنزل عليه الذكر من بيننا**﴾ والاستفهام للإنكار، أى كيف يكون ذلك ونحن الرؤساء والأشراف ؟ قال الزجاج: قالوا: كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا ونحن أكبر سنا وأعظم شرفًا منه ؟ وهذا مثل قولهم : ﴿لولا نزل [1] هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف : ٣١] . فأنكروا أن يتفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده بما شاء . ولما ذكر استنكارهم لنزول القرآن على رسول الله ﷺ دونهم بين السبب الذى لأجله تركوا تصديق رسول الله ﷺ فيما جاء به ، فقال : ﴿ **بل هم فى شك من ذكرى** ﴾ أى من القرآن أو الوحى لإعراضهم عن النظر الموجب لتصديقه ، وإهمالهم للأدلة الدالة على أنه حق منزل من عند الله ﴿ **بل لما يذوقوا عذاب** ﴾ أى بل السبب أنهم لم يذوقوا عذابى فاغتروا بطول المهلة ، ولو ذاقوا عذابى على ما هم عليه من الشرك والشك لصدقوا ما جئت به من القرآن ولم يشكوا فيه .

﴿ **أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب** ﴾ أى مفاتيح نعم ربك وهى النبوة وما هو دونها من النعم حتى يعطوها من شاؤوا ، فما لهم ولإنكار ما تفضل الله به على هذا النبى واختاره له واصطفاه لرسالته . والمعنى : بل أعندهم ، لأن أم هى المنقطعة المقدرة ببل والهمزة . والعزيز : الغالب القاهر . والوهاب : المعطى بغير حساب . ﴿ **أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما** ﴾ أى بل ألهم ملك هذه الأشياء حتى يعطوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا ، ويعترضوا على إعطاء الله سبحانه ما شاء لمن شاء ؟ وقوله : ﴿ **فليرتقوا فى الأسباب** ﴾ جواب شرط محذوف ، أى إن كان لهم ذلك فليصعدوا فى الأسباب التى توصلهم إلى السماء أو إلى العرض حتى يحكموا بما يريدون من عطاء ومنع ويدبروا أمر العالم بما يشتهون ، أو فليصعدوا وليمنعوا الملائكة من نزولهم بالوحى على محمد ﷺ . والأسباب : أبواب السموات التى تنزل الملائكة منها . قاله مجاهد وقتادة ، ومنه قول زهير :

ولو رام أسباب السماء بسلم

---

(١) فى المطبوعة : « أنزل » .

قال الربيع بن أنس : الأسباب : أدق من الشعر ، وأشد من الحديد ولكن لا ترى . وقال السدى : ﴿ **فى الأسباب** ﴾ : فى الفضل والدين . وقيل : فليعملوا فى أسباب القوة إن ظنوا أنها مانعة وهو قول أبى عبيدة . وقيل : الأسباب : الحبال ، يعنى : إن وجدوا حبالاً يصعدون فيها إلى السماء فعلوا، والأسباب عند أهل اللغة: كل شىء يتوصل به إلى المطلوب كائنًا ما كان. وفى هذا الكلام تهكم بهم [١] وتعجيز لهم . ﴿ **جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب** ﴾ هذا وعد من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالنصر عليهم والظفر بهم ، و﴿ **جند** ﴾ مرتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى هم جند ، يعنى الكفار ، مهزوم : مكسور عما قريب ، فلا تبال بهم ولا تظن أنهم يصلون إلى شىء مما يضمرونه بك من الكيد ، و« ما » فى قوله : ﴿ **ما هنالك** ﴾ هى صفة لجند لإفادة التعظيم والتحقير ، أى جند أى جند . وقيل : هى زائدة يقال : هزمت الجيش : كسرته ، وتهزمت القربة : إذا تكسرت ، وهذا الكلام متصل بما تقدم ، هو قوله : ﴿ **بل الذين كفروا فى عزة وشقاق** ﴾ وهم جند من الأحزاب مهزومون ، فلا تحزن لعزتهم وشقاقهم ، فإنى أسلب عزهم وأهزم جمعهم ، وقد وقع ذلك ولله الحمد فى يوم بدر وفيما بعده من مواطن الله.

وقد أخرج عبد بن حميد عن أبى صالح قال : سئل جابر بن عبد الله وابن عباس عن ﴿**ص** ﴾ فقال : لا ندرى ما هو . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : ﴿ **ص** ﴾ محمد ﷺ . وأخرج ابن جرير عنه ﴿ **والقرآن ذى الذكر** ﴾ قال : ذى الشرف . وأخرج أبو داود الطيالسى وعبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، والحاكم وصححه عن التميمى قال : سألت ابن عباس عن قول الله تعالى : ﴿ **فنادوا ولات حين مناص** ﴾ قال : ليس بحين نزو ولا فرار . وأخرج ابن أبى حاتم من طريق عكرمة عنه فى الآية قال : نادوا النداء حين لا ينفعهم ، وأنشد :

تذكرت ليـــلى حين تذكـر وقد بنت منها والمناص بعيد

وأخرج عنه أيضًا فى الآية قال : ليس هذا حين زوال . وأخرج ابن المنذر من طريق عطية عنه أيضًا قال : لا حين فرار . وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿**وانطلق الملأ منهم** ﴾ الآية : نزلت حين انطلق أشراف قريش إلى أبى طالب فكلموه فى النبى ﷺ [٢] . وأخرج ابن مردويه عنه ﴿ **وانطلق الملأ منهم** ﴾ قال : أبو جهل . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة** ﴾ قال : النصرانية . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **فليرتقوا فى الأسباب** ﴾ قال : فى السماء .

---

(١) فى المخطوط : « بكم » والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى .

(٢) ابن جرير ٢٣/ ٨١ .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦) اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠) وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) ﴾ .

لما ذكر سبحانه أحوال الكفار المعاصرين لرسول الله ﷺ ذكر أمثالهم ممن تقدمهم وعمل عملهم من الكفر والتكذيب ، فقال : ﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد** ﴾ قال المفسرون : كانت له أوتاد يعذب بها الناس ، وذلك أنه كان إذا غضب على أحد ، وتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض . وقيل : المراد بالأوتاد : الجموع والجنود الكثيرة ، يعنى : أنهم كانوا يقوون أمره ويشدون سلطانه كما تقوى الأوتاد ما ضربت عليه ، فالكلام خارج مخرج الاستعارة على هذا . قال ابن قتيبة : العرب تقول : هم فى عز ثابت الأوتاد ، وملك ثابت الأوتاد ، يريدون ملكًا دائمًا شديدًا ، وأصل هذا أن البيت من بيوت الشعر إنما يثبت ويقوم بالأوتاد . وقيل : المراد بالأوتاد هنا : البناء المحكم ، أى وفرعون ذو الأبنية المحكمة . قال الضحاك : والبنيان يسمى أوتادًا ، والأوتاد جمع وتد أفصحها فتح الواو وكسر التاء ، ويقال : وتد يقتحمها وود بإدغام التاء فى الدال وودت . قال الأصمعى ويقال : وتد واتد ، مثل شغل شاغل وأنشد :

لاقت على الماء جذيلاً واتدًا ولم يكن يخلفهـا المواعـدا

﴿ **وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة** ﴾ الأيكة : الغيضة ، وقد تقدم تفسيرها واختلاف القراء فى قراءتها فى سورة الشعراء ، ومعنى ﴿ **أولئك الأحزاب** ﴾ : أنهم الموصوفون بالقوة والكثرة كقولهم : فلان هو الرجل ، وقريش وإن كانوا حزبًا كما قال الله سبحانه فيما تقدم :

﴿ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ [ص : ١١] ولكن هؤلاء الذين قصهم الله علينا من الأمم السالفة هم أكثر منهم عددًا ، وأقوى أبدانًا ، وأوسع أموالاً وأعمارًا، وهذه الجملة يجوز أن تكون مستأنفة ، ويجوز أن تكون خبرًا ، والمبتدأ قوله : ﴿ **وعاد** ﴾ كذا قال أبو البقاء وهو ضعيف ، بل الظاهر أن ﴿ **عاد** ﴾ وما بعده معطوفات على ﴿ **قوم نوح** ﴾ ، والأولى أن تكون هذه الجملة خبرًا لمبتدأ محذوف ، أو بدلاً من الأمم المذكورة ﴿ **إن كل إلا كذب الرسل** ﴾ إن هى النافية ، والمعنى : ما كل حزب من هذه الأحزاب إلا كذب الرسل ، لأن تكذيب الحزب لرسوله المرسل إليه تكذيب لجميع الرسل أو هو من مقابلة الجمع بالجمع ، والمراد : تكذيب كل حزب لرسوله ، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال ، أى ما كل أحد من الأحزاب فى جميع أحواله إلا وقع منه تكذيب الرسل ﴿ **فحق عقاب** ﴾ أى فحق عليهم عقابى بتكذيبهم ، ومعنى ﴿**حق** ﴾ : ثبت ووجب ، وإن تأخر فكأنه واقع بهم ، وكل ما هو آت قريب . قرأ يعقوب بإثبات الياء فى ﴿ **عقاب** ﴾ وحذفها الباقون مطابقة لرؤوس الآى . ﴿ **وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة** ﴾ أى ما ينظرون إلا صيحة ، وهى النفخة الكائنة عند قيام الساعة . وقيل : هى النفخة الثانية ، وعلى الأول المراد : من عاصر نبينا ﷺ من الكفار ، وعلى الثانى المراد : كفار الأمم المذكورة ، أى ليس بينهم وبين حلول ما أعد الله لهم من عذاب النار إلا أن ينفخ فى الصور النفخة الثانية . وقيل : المراد بالصيحة : عذاب يفجؤهم فى الدنيا كما قال الشاعر :

صاح الزمان بآل برمك صيحة خـــروا لشـدتها على الأذقـان

وجملة : ﴿ **ما لها من فواق** ﴾ فى محل نصب صفة لصيحة . قال الزجاج : فواق وفواق بفتح الفاء وضمها، أى ما لها من رجوع ، والفواق ما بين حلبتى الناقة ، وهو مشتق من الرجوع أيضًا ؛ لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين ، وأفاق من مرضه، أى رجع إلى الصحة، ولهذا قال مجاهد ومقاتل: إن الفواق: الرجوع . وقال قتادة : ما لها من مثنوية . وقال السدى: ما لها من إفاقة . وقيل : ما لها من مرد . قال الجوهرى : ما لها من نظره وراحة وإفاقة ، ومعنى الآية : أن تلك الصيحة هى ميعاد عذابهم ، فإذا جاءت لم ترجع ولا ترد عنهم ولا تصرف منهم ولا تتوقف مقدار فواق الناقة ، وهى ما بين حلبتى الحالب لها ومنه قول الأعشى :

حتى إذا فيقة فى ضرعهـا اجتمعت جاءت لترضع شق النفس لو رضعا

والفيقة : اسم اللبن الذى يجتمع بين الحلبتين ، وجمعها فيق وأفواق. قرأ حمزة والكسائى: « ما لها من فواق » بضم الفاء ، وقرأ الباقون بفتحها . قال الفراء وأبو عبيدة : الفواق بفتح الفاء: الراحة ، أى لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشى عليه ، وبالضم الانتظار . ﴿ **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ﴾ لما سمعوا ما توعدهم الله به من العذاب قالوا هذه المقالة استهزاء وسخرية ، والقط فى اللغة : النصيب ، من القط ، وهو القطع ، وبهذا قال قتادة

وسعيد بن جبير. قال الفراء : القط فى كلام العرب : الحظ والنصيب ، ومنه قيل **للصك: قط.** قال أبو عبيدة والكسائى : القط : الكتاب بالجوائز ، والجمع القطوط ، ومنه قول **الأعشى** :

ولا الملك النعمـان يوم لقيته بغبطته يعطى القطوط ويأفق

ومعنى يأفق : يصلح ، ومعنى الآية : سؤالهم لربهم أن يعجل لهم نصيبهم وحظهم من العذاب ، وهو مثل قوله : ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ [الحج : ٤٧] وقال السدى : **سألوا** ربهم أن يمثل لهم منازلهم من الجنة ليعلموا حقيقة ما يوعدون به ، وقال إسماعيل بن **أبى خالد:** المعنى: عجل لنا أرزاقنا، وبه قال سعيد بن جبير والسدى . وقال أبو العالية والكلبى **ومقاتل : لما** نزل ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه ﴾ [الحاقة: ١٩]. ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله ﴾ **[الحاقة:** ٢٥] قالت قريش : زعمت يا محمد أنا نؤتى كتابنا بشمالنا فجعل لنا قطنا قبل يوم الحساب . ثم أمر الله سبحانه نبيه أن يصبر على ما يسمعه من أقوالهم فقال: ﴿ **اصبر على ما يقولون** ﴾ من أقوالهم الباطلة التى هذا القول المحكى عنهم من جملتها ، وهذه الآية منسوخة بآية السيف .

﴿ **واذكر عبدنا داود ذا الأيد** ﴾ لما فرغ من ذكر قرون الضلالة ، وأمم الكفر والتكذيب ، وأمر نبيه ﷺ بالصبر على ما يسمعه زاد فى تسليته وتأسيته بذكر قصة داود وما بعدها . ومعنى ﴿**اذكر عبدنا داود** ﴾ : اذكر قصته فإنك تجد فيها ما تتسلى به . والأيد : القوة ، ومنه : رجل أيد ، أى قوى ، وتأيد الشىء : تقوى ، والمراد : ما كان فيه عليه السلام من القوة على العبادة. قال الزجاج : وكانت قوة داود على العبادة أتم قوة ، ومن قوته ما أخبرنا به نبينا ﷺ أنه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، وكان يصلى نصف الليل وكان لا يفر إذا لاقى العدو ، وجملة : ﴿ **إنه أواب** ﴾ تعليل لكونه ذا الأيد ، والأواب : الرجاع عن كل ما يكرهه الله سبحانه إلى ما يحبه ، ولا يستطيع ذلك إلا من كان قويًا فى دينه. وقيل: معناه: كلما ذكر ذنبه استغفر منه وثاب عنه ، وهذا داخل تحت المعنى الأول ، يقال : آب يؤوب : إذا رجع ﴿ **إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق** ﴾ أى يقدسن الله سبحانه وينزهنه عما لا يليق به . وجملة : ﴿ **يسبحن** ﴾ فى محل نصب على الحال ، وفى هذا بيان ما أعطاه الله من البرهان والمعجزة ، وهو تسبيح الجبال معه . قال **مقاتل** : كان داود إذا ذكر الله ذكرت الجبال معه ، وكان يفقه تسبيح الجبال . وقال محمد بن إسحاق : أوتى داود من حسن الصوت ما يكون له فى الجبال دوى حسن ، فهذا معنى تسبيح الجبال ، والأولى أولى . وقيل : معنى : ﴿ **يسبحن** ﴾ : يصلين ، و﴿ **معه** ﴾ متعلق بسخرنا . ومعنى ﴿ **بالعشى والإشراق** ﴾ : قال الكلبى : غدوة وعشية ، يقال : أشرقت الشمس : إذا أضاءت ، وذلك وقت الضحى . وأما شروقها فطلوعها . قال الزجاج : شرقت الشمس : إذا طلعت ، وأشرقت : إذا أضاءت .

﴿ **والطير محشورة** ﴾ معطوف على الجبال، وانتصاب ﴿ **محشورة** ﴾ على الحال من الطير،

أى وسخرنا الطير حال كونها محشورة ، أى مجموعة إليه تسبح الله معه . قيل : كانت تجمعها إليه الملائكة . وقيل : كانت تجمعها الريح ﴿ **كل له أواب** ﴾ أى كل واحد من داود والجبال والطير رجاع إلى طاعة الله وأمره ، والضمير فى له ، راجع إلى الله عز وجل . وقيل : الضمير لداود ، أى لأجل تسبيح داود مسبح ، فوضع أواب موضع مسبح ، والأول أولى . وقد قدمنا أن الأواب : الكثير الرجوع إلى الله سبحانه . ﴿ **وشددنا ملكه** ﴾ : قويناه وثبتناه بالنصر فى المواطن على أعدائه وإلقاء الرعب منه فى قلوبهم . وقيل : بكثرة الجنود . ﴿ **وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾ المراد بالحكمة: النبوة والمعرفة بكل ما يحكم به. وقال مقاتل: الفهم والعلم . وقال مجاهد : العدل . وقال أبو العالية : العلم بكتاب الله . وقال شريح : السنة . والمراد بفصل الخطاب : الفصل فى القضاء ، وبه قال الحسن والكلبى ومقاتل . وحكى الواحدى عن الأكثر أن فصل الخطاب : الشهود والأيمان لأنها إنما تنقطع الخصومة بهذا . وقيل : هو الإيجاز بجعل المعنى الكثير فى اللفظ القليل .

﴿ **وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب** ﴾ لما مدحه الله سبحانه بما تقدم ذكره أردف ذلك بذكر هذه القصة الواقعة له لما فيها من الأخبار العجيبة . قال مقاتل : بعث الله إلى داود ملكين : جبريل وميكائيل لينبهه على التوبة ، فأتياه وهو فى محرابه . قال النحاس : ولا خلاف بين أهل التفسير أن المراد بالخصم ها هنا : الملكان ، والخصم : مصدر يقع على الواحد والاثنين والجماعة . ومعنى ﴿ **تسوروا المحراب** ﴾ : أتوه من أعلى سوره ونزلوا إليه ، والسور : الحائط المرتفع ، وجاء بلفظ الجمع فى تسوروا مع كونهم اثنين ؛ نظرًا إلى ما يحتمله لفظ الخصم من الجمع . ومنه قول الشاعر :

وخصم غضاب قد نفضت لحاهم　　　كنفض البراذين العراب المخاليـا

والمحراب : الغرفة ، لأنهم تسوروا عليه وهو فيها ، كذا قال يحيى بن سلام . وقال أبو عبيدة : إنه صدر المجلس ومنه محراب المسجد . وقيل : إنهما كانا إنسيين ولم يكونا ملكين ، والعامل فى « إذ » فى قوله : ﴿ **إذ دخلوا** ﴾ النبأ ، أى هل أتاك الخبر الواقع فى وقت تسورهم؟ بهذا قال ابن عطية ومكى وأبو البقاء . وقيل : العامل فيه أتاك . وقيل : معمول للخصم . وقيل : معمول لمحذوف ، أى وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم . وقيل : هو معمول لتسوروا . وقيل: هو بدل مما قبله . وقال الفراء : إن أحد الظرفين المذكورين بمعنى لما ﴿ **ففزع منهم** ﴾ وذلك لأنهما أتياه ليلاً فى غير وقت دخول الخصوم ، ودخلوا عليه بغير إذنه ولم يدخلوا من الباب الذى يدخل منه الناس . قال ابن الأعرابى : وكان محراب داود من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقى إليه آدمى بحيلة ، وجملة : ﴿ **قالوا لا تخف** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل : فماذا قالوا لداود لما فزع منهم ؟ وارتفاع ﴿ **خصمان** ﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى نحن خصمان ، وجاء فيما سبق بلفظ الجمع ، وهنا بلفظ التثنية ، لما ذكرنا من أن لفظ الخصم يحتمل المفرد والمثنى والمجموع ، فالكل جائز . قال الخليل : هو كما نقول : نحن فعلنا كذا ،

إذا كنتما اثنين . وقال الكسائى : جمع لما كان خبرا فلما انقضى الخبر وجاءت المخاطبة أخبر الاثنان عن أنفسهما فقالا خصمان ، وقوله : ﴿ **بغى بعضنا على بعض** ﴾ هو على سبيل الفرض والتقدير ، وعلى سبيل التعريض ؛ لأن من المعلوم أن الملكين لا يبغيان . ثم طلبا منه أن يحكم بينهما بالحق ونهياه عن الجور فقالا: ﴿ **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** ﴾ أى لا تجر فى حكمك ، يقال : شط الرجل وأشط شططا وإشطاطا : إذا جار فى حكمه . قال أبو عبيد : شططت عليه وأشططت ، أى جرت . وقال الأخفش : معناه : لا تسرف . وقيل : لا تفرط . وقيل : لا تمل . والمعنى متقارب ، والأصل فيه البعد ، من شطت الدار : إذا بعدت . قال أبو عمرو : الشطط : مجاوزة القدر فى كل شىء ﴿ **واهدنا إلى سواء الصراط** ﴾ سواء الصراط : وسطه . والمعنى : أرشدنا إلى الحق واحملنا عليه .

ثم لما أخبراه عن الخصومة إجمالاً شرعًا فى تفصيلهما وشرحهما فقالا : ﴿ **إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة** ﴾ المراد بالأخوة هنا : أخوة الدين أو الصحبة . والنعجة هى الأنثى من الضأن ، وقد يقال لبقر الوحش : نعجة ﴿ **ولى نعجة واحدة** ﴾ قال الواحدى : النعجة البقرة الوحشية ، والعرب تكنى عن المرأة بها ، وتشبه النساء بالنعاج من البقر . قرأ الجمهور : ﴿ **تسع وتسعون** ﴾ بكسر التاء الفوقية . وقرأ الحسن وزيد بن على بفتحها . قال النحاس : وهى لغة شاذة ، وإنما عنى بـ ﴿ **هذا** ﴾ داود لأنه كان له تسع وتسعون امرأة وعنى بقوله : ﴿ **ولى نعجة واحدة** ﴾ أوريا زوج المرأة التى أراد أن يتزوجها داود كما سيأتى بيان ذلك ﴿ **فقال أكفلنيها** ﴾ أى ضمها إلى وانزل لى عنها حتى أكفلها وأصير بعلاً لها . قال ابن كيسان : اجعلها كفلى ونصيبى ﴿**وعزنى فى الخطاب** ﴾ أى غلبنى ، يقال : عزه يعزه عزا : إذا غلبه . وفى المثل : من عزَّ بزَّ ، أى من غلب سلب . والاسم العزة ، وهى القوة . قال عطاء : المعنى إن تكلم كان أفصح منى. وقرأ ابن مسعود وعبيد بن عمير : « وعازنى فى الخطاب » أى غالبنى من المعاوزة وهى المغالبة.

﴿ **قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه** ﴾ أى بسؤال نعجتك ليضمها إلى نعاجه التسع والتسعين إن كان الأمر على ما تقول ، واللام هى الموطئة للقسم ، وهى وما بعدها جواب للقسم المقدر ، وجاء بالقسم فى كلامه مبالغة فى إنكار ما سمعه من طلب صاحب التسع والتسعين النعجة ، أن يضم إليه النعجة الواحدة التى مع صاحبه ولم يكن معه غيرها . ويمكن أنه إنما قال بهذا بعد أن سمع الاعتراف من الآخر . قال النحاس . ويقال : إن خطيئة داود هى قوله : ﴿**لقد ظلمك** ﴾ لأنه قال ذلك قبل أن يتثبت ﴿ **وإن كثيراً من الخلطاء** ﴾ وهم الشركاء واحدهم خليط ، وهو المخالط فى المال ﴿ **ليبغى بعضهم على بعض** ﴾ أى يتعدى بعضهم على بعض ويظلمه غير مراع لحقه ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فإنهم يتحامون ذلك، ولا يظلمون خليطًا ولا غيره ﴿ **وقليل ما هم** ﴾ أى وقليل هم ، و« ما » زائدة للتوكيد والتعجب . وقيل : هى موصولة ، و﴿ **هم** ﴾ مبتدأ ، و﴿ **قليل** ﴾ خبره ﴿ **وظن داود إنما فتناه** ﴾ . قال أبو عمرو

والفراء : ظن يعنى : أيقن . ومعنى ﴿ **فتناه** ﴾ : ابتليناه ، والمعنى : أنه عند أن تخاصما إليه وقال ما قال علم عند ذلك أنه المراد، وأن مقصودهما التعريض به وبصاحبه الذى أراد أن ينزل له عن امرأته . قال الواحدى : قال المفسرون : فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك ، فعند ذلك علم داود بما أراداه . قرأ الجمهور : ﴿ **فتناه** ﴾ بالتخفيف للتاء وتشديد النون . وقرأ عمر بن الخطاب والحسن وأبو رجاء بالتشديد للتاء والنون ، وهى مبالغة فى الفتنة. وقرأ الضحاك : « افتناه » ، وقرأ قتادة وعبيد بن عمير وابن السميقع : « فتناه » بتخفيفهما وإسناد الفعل إلى الملكين ، ورويت هذه القراءة عن أبى عمرو ﴿ **فاستغفر ربه** ﴾ لذنبه ﴿ **وخر راكعا** ﴾ أى ساجدا . وعبر بالركوع عن السجود . قال ابن العربى : لا خلاف بين العلماء أن المراد بالركوع هنا السجود ، فإن السجود هو الميل ، والركوع هو الانحناء ، وأحدهما يدخل فى الآخر ولكنه قد يختص كل واحد منهما بهيئة . ثم جاء فى هذا على تسمية أحدهما بالآخر . وقيل : المعنى للسجود راكعا ، أى مصليا . وقيل : بل كان ركوعهم سجودا . وقيل : بل كان سجودهم ركوعا ﴿ **وأناب** ﴾ أى رجع إلى الله بالتوبة من ذنبه .

وقد اختلف المفسرون فى ذنب داود الذى استغفر له وتاب عنه على أقوال : الأول : أنه نظر إلى امرأة الرجل التى أراد أن تكون زوجة له، كذا قال سعيد بن جبير وغيره . قال الزجاج: ولم يتعمد داود النظر إلى المرأة لكنه عاود النظر إليها ، وصارت الأولى له والثانية عليه . القول الثانى : أنه أرسل زوجها فى جملة الغزاة . الثالث : أنه نوى إن مات زوجها أن يتزوجها . الرابع : أن أوريا كان خطب تلك المرأة فلما غاب خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا ، فعتب الله عليه حيث لم يتركها لخاطبها . الخامس : أنه لم يجزع على قتل أوريا كما كان يجزع على من هلك من الجند ، ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك ، لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهى عظيمة . السادس : أنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر كما قدمنا . وأقول : الظاهر من الخصومة التى وقعت بين الملكين تعريضا لداود عليه السلام ، أنه طلب من زوج المرأة الواحدة أن ينزل له عنها ويضمها إلى نسائه ، ولا ينافى هذا العصمة الكائنة للأنبياء ، فقد نبهه الله على ذلك وعرض له بإرسال ملائكته إليه ليتخاصموا فى مثل قصته حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه فاستغفر وتاب . وقد قال سبحانه: ﴿وعصى آدم ربه فغوى ﴾ [طه : ١٢١] وهو أبو البشر وأول الأنبياء ، ووقع لغيره من الأنبياء ما قصه الله علينا فى كتابه.

ثم أخبر سبحانه أنه قبل استغفاره وتوبته قال : ﴿ **فغفرنا له ذلك** ﴾ أى ذلك الذنب الذى استغفر منه . قال عطاء الخراسانى وغيره : إن داود بقى ساجدا أربعين يوما حتى نبت الرعى حول وجهه وغمر رأسه . قال ابن الأنبارى : الوقف على قوله : ﴿ **فغفرنا له ذلك** ﴾ تام ، ثم يبتدئ الكلام بقوله : ﴿ **وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾ الزلفى : القربة والكرامة بعد المغفرة لذنبه . قال مجاهد : الزلفى : الدنو من الله عز وجل يوم القيامة ، والمراد بحسن المآب : حسن المرجع وهو الجنة .

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ما لها من فواق** ﴾ قال : من رجعة . ﴿**وقالوا ربنا عجل لنا قطنا** ﴾ قال : سألوا الله أن يعجل لهم . وأخرج ابن أبى حاتم من طريق الزبير بن عدى عنه: ﴿ **عجل لنا قطنا** ﴾ قال : نصيبنا من الجنة . وأخرج ابن جرير عنه أيضا فى قوله : ﴿ **ذا الأيد** ﴾ قال : القوة . وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال : الأواب المسبح . وأخرج الديلمى عن مجاهد قال: سألت ابن عمر عن الأواب فقال: سألت النبى ﷺ عنه فقال : «هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر الله» . وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال : الأواب : الموقن . وأخرج عبد الرازق وعبد بن حميد عن عطاء الخراسانى عنه قال : لم يزل فى نفسى من صلاة الضحى حتى قرأت هذه الآية : ﴿ **إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق** ﴾ . وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عنه أيضا قال : لقد أتى على زمان وما أدرى وجه هذه الآية ﴿ **يسبحن بالعشى والإشراق** ﴾ حتى رأيت الناس يصلون الضحى . وأخرج الطبرانى فى الأوسط ، وابن مردويه عنه قال : كنت أمر بهذه الآية : ﴿ **يسبحن بالعشى والإشراق** ﴾ فما أدرى ما هى ؟ حتى حدثتنى أم هانئ بنت أبى طالب أن النبى ﷺ دخل عليها يوم الفتح ، فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى ، ثم قال : يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق [١] . وأخرج ابن جرير وابن مردويه من وجه آخر عنه نحوه . والأحاديث فى صلاة الضحى كثيرة جدا قد ذكرناها فى شرحنا للمنتقى .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : استعدى رجل من بنى إسرائيل عند داود على رجل من عظمائهم فقال : إن هذا غصبنى بقرا لى ، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده ، فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة، فقال لهما داود : قوما حتى أنظر فى أمركما ، فقاما من عنده ، فأتى داود فى سنامه فقيل له: اقتل الرجل الذى استعدى، فقال : إن هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت ، فأتى الليلة الثانية فى منامه فأمر أن يقتل الرجل فلم يفعل ، ثم أتى الليلة الثالثة ، فقيل له : اقتل الرجل أو تأتيك العقوبة من الله ، فأرسل داود إلى الرجل فقال : إن الله أمرنى أن أقتلك ، قال : تقتلنى بغير بينة ولا تثبت ؟ قال : نعم ، والله لأنفذن أمر الله فيك ، فقال الرجل : لا تعجل على حتى أخبرك ، إنى والله ما أخذت بهذا الذنب ، ولكنى كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك أخذت ، فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبته فى بنى إسرائيل وشدد به ملكه ، فهو قول الله : ﴿ **وشددنا ملكه** ﴾ [٢] . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **وآتيناه الحكمة** ﴾ قال: أعطى الفهم . وأخرج ابن أبى حاتم والديلمى عن أبى موسى الأشعرى قال : أول من قال : أما بعد داود عليه السلام وهو ﴿ **فصل الخطاب** ﴾ . وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر عن الشعبى أنه سمع زياد بن أبيه يقول : فصل الخطاب الذى أوتى داود : أما بعد .

---

(١) قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٠٢ : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه أبو بكر الهذلى وهو ضعيف » .
(٢) ابن جرير ٢٣/ ٨٨ .

وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف ، وابن أبى حاتم عن ابن عباس : أن داود حدث نفسه إذا ابتلى أنه يعتصم، فقيل له : إنك ستبتلى وستعلم اليوم الذى تبتلى فيه فخذ حذرك ، فقيل له : هذا اليوم الذى تبتلى فيه ، فأخذ الزبور ودخل المحراب وأغلق باب المحراب وأخذ الزبور فى حجره ، وأقعد منصفا ، يعنى خادما ، على الباب وقال: لا تأذن لأحد على اليوم ، فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر مذهب كأحسن ما يكون الطير، فيه من كل لون ، فجعل يدور بين يديه، فدنا منه فأمكن أن يأخذه ، فتناوله بيده ليأخذه فاستوفز من خلفه ، فأطبق الزبور وقام إليه ليأخذه ، فطار فوقع على كوة المحراب ، فدنا منه ليأخذه فأفضى فوقع على خص فأشرف عليه لينظر أين وقع ؟ فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض ، فلما رأت ظله حركت رأسها ، فغطت جسدها أجمع بشعرها ، وكان زوجها غازيا فى سبيل الله ، فكتب داود إلى رأس الغزاة: انظر أوريا فاجعله فى حملة التابوت وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم وإما أن يقتلوا ، فقدمه فى حملة التابوت فقتل، فلما انقضت عدتها خطبها داود ، فاشترطت عليه إن ولدت غلاما أن يكون الخليفة من بعده،وأشهدت عليه خمسين من بنى إسرائيل وكتب عليه بذلك كتابا، فما شعر بفتنته أنه افتتن حتى ولدت سليمان ، وشب فتسور عليه الملكان المحراب وكان شأنهما ما قص الله فى كتابه وخر داود ساجدا، فغفر الله له وتاب عليه[1] . وأخرج الحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب عنه قال : ما أصاب داود بعد ما أصابه بعد القدر إلا من عجب عجب بنفسه ، وذلك أنه قال : يا رب ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك يصلى لك أو يسبح أو يكبر وذكر أشياء ، فكره الله ذلك ، فقال : يا داود إن ذلك لم يكن إلا بى فلولا عونى ما قويت عليه ، وعزتى وجلالى لأكلنك إلى نفسك يوما ، قال : يا رب فأخبرنى به ، فأخبر به فأصابته الفتنة ذلك اليوم [2] . وأخرج أصل القصة الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن جرير وابن أبى حاتم عن أنس مرفوعا بإسناد ضعيف . وأخرجها ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس مطولة . وأخرجها جماعة عن جماعة من التابعين .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **إن هذا أخى** ﴾ قال : على دينى . وأخرج عبد الرزاق والفريابى ، وأحمد فى الزهد ، وابن جرير والطبرانى عنه قال : مازاد داود على أن قال : ﴿ **أكفلنيها** ﴾ . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **أكفلنيها** ﴾ قال : ما زاد داود على أن قال : تحول لى عنها . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **وقليل ما هم** ﴾ يقول : قليل الذى هم فيه ، وفى قوله : ﴿ **وظن داود أنما فتناه** ﴾ قال : اختبرناه . وأخرج أحمد

---

(١) ابن أبى شيبة فى الفضائل (١١٩٤٣) .

(٢) صححه الحاكم ٢/ ٤٣٣ ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (٧٢٥٣) دار الكتب العلمية .

والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن مردويه والبيهقى فى سننه عنه أيضا أنه قال فى السجود فى ﴿ ص ﴾ ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها (١) . وأخرج النسائى وابن مردويه بسند جيد عنه أيضا أن النبى ﷺ سجد فى ﴿ ص ﴾ وقال : سجدها داود ونسجدها شكرا (٢) . وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ سجد فى ﴿ ص ﴾. وأخرج ابن مردويه عن أنس مثله مرفوعا . وأخرج الدارمى وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطنى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن أبى سعيد قال : قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر ﴿ ص ﴾ ، فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه، فلما كان يوم آخر قرأها ، فلما بلغ السجدة تهيأ الناس للسجود ، فقال : إنما هى توبة ولكنى رأيتكم تهيأتم للسجود ، فنزل فسجد(٣). وأخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ أنه ذكر يوم القيامة فعظم شأنه وشدته قال : «ويقول الرحمن عز وجل لداود عليه السلام : مر بين يدى ، فيقول داود : يا رب أخاف أن تدحضنى خطيئتى ، فيقول : خذ بقدمى، فيأخذ بقدمه عز وجل فيمر » ، قال : « فتلك الزلفى التى قال الله : ﴿ **وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾ » .

﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ (٢٩) وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣)** ﴾ .

---

(١) أحمد ١/ ٣٦٠ والبخارى فى السجود (١٠٦٩) وأبو داود فى الصلاة (١٤٠٩) والترمذى فى الصلاة (٥٧٧) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » والنسائى بلفظ مختلف فى التفسير (١٩٠) ، والبيهقى ٢/ ٣١٨ والدرامى ١/ ٣٤٢ وابن خزيمة ١/ ٢٧٧ .

(٢) النسائى ٢/ ١٥٩ وأخرجه الدارقطنى ١/ ٤٠٧ والبيهقى ٢/ ٣١٩ وابن خزيمة ١/ ٢٧٧ .

(٣) الدارمى ١/ ٣٤٢ وأبو داود فى الصلاة (١٤١٠) وابن خزيمة ١/ ٢٧٧ وصححه ابن حبان (٢٧٥٤) والدارقطنى ١/ ٤٠٨ وصححه الحاكم ٢/ ٤٣١ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، والبيهقى ٢/ ٣١٨ .

لما تمم سبحانه قصة داود أردفها ببيان تفويض أمر خلافة الأرض إليه ، والجملة مقولة لقول مقدر معطوف على غفرنا ، أى وقلنا له : ﴿ **يا داود إنا** ﴾ استخلفناك على الأرض ، أو ﴿**جعلناك خليفة** ﴾ لمن قبلك من الأنبياء لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ﴿ **فاحكم بين الناس بالحق** ﴾ أى بالعدل الذى هو حكم الله بين عباده ﴿ **ولا تتبع الهوى** ﴾ أى هوى النفس فى الحكم بين العباد . وفيه تنبيه لداود عليه السلام أن الذى عوتب عليه ليس بعدل وأن فيه شائبة من اتباع هوى لنفس ﴿ **فيضلك عن سبيل الله** ﴾ بالنصب على أنه جواب للنهى وفاعل يضلك هو الهوى ، ويجوز أن يكون الفعل مجزوما بالعطف على النهى ، وإنما حرك لالتقاء الساكنين ، فعلى الوجه الأول يكون المنهى عنه الجمع بينهما ، وعلى الوجه الثانى يكون النهى عن كل واحد منهما على حدة . وسبيل الله : هو طريق الحق ، أو طريق الجنة .

وجملة : ﴿ **إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد** ﴾ تعليل للنهى عن اتباع الهوى والوقوع فى الضلال، والباء فى : ﴿ **بما نسوا يوم الحساب** ﴾ للسببية ، ومعنى النسيان : الترك ، أى بسبب تركهم العمل لذلك اليوم : قال الزجاج : أى بتركهم العمل لذلك اليوم صاروا بمنزلة الناسين وإن كانوا ينذرون ويذكرون . وقال عكرمة والسدى : فى الآية تقديم وتأخير، والتقدير: ولهم عذاب يوم الحساب بما نسوا ، أى تركوا القضاء بالعدل، والأول أولى . وجملة ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا** ﴾ مستأنفة مقررة لما قبلها من أمر البعث والحساب ، أى ما خلقنا هذه الأشياء خلقا باطلا خارجا على الحكمة الباهرة ، بل خلقناها للدلالة على قدرتنا ، فانتصاب ﴿ **باطلا** ﴾ على المصدرية ، أو على الحالية ، أو على أنه مفعول لأجله ، والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى المنفى قبله وهو مبتدأ ، وخبره: ﴿ **ظن الذين كفروا** ﴾ أى مظنونهم ، فإنهم يظنون أن هذه الأشياء خلقت لا لغرض ويقولون إنه لا قيامة ولا بعث ولا حساب ، وذلك يستلزم أن يكون خلق هذه المخلوقات باطلا ﴿ **فويل للذين كفروا من النار** ﴾ والفاء لإفادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل ، أى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم . ثم وبخهم وبكتهم فقال : ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض** ﴾ قال مقاتل : قال كفار قريش للمؤمنين : إنا نعطى فى الآخرة كما تعطون فنزلت، و«أم» هى المنقطعة المقدرة ببل والهمزة ، أى بل أنجعل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا بفرائضه كالمفسدين فى الأرض بالمعاصى . ثم أضرب سبحانه إضرابا آخر وانتقل عن الأول إلى ما هو أظهر استحالة منه فقال: ﴿ **أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ أى بل أنجعل أتقياء المؤمنين كأشقياء الكافرين والمنافقين والمنهمكين فى معاصى الله سبحانه من المسلمين . وقيل: إن الفجار هنا خاص بالكافرين . وقيل : المراد بالمتقين الصحابة ، ولا وجه للتخصيص بغير مخصص ، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك** ﴾ ارتفاع كتاب على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وأنزلناه إليك صفة له ، ومبارك خبر ثان للمبتدأ ، ولا يجوز أن يكون صفة أخرى لكتاب ، لما تقرر من أنه لا

obeikandl.com

يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح ، وقد جوزه بعض النحاة ، والتقدير : القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد كثير الخير والبركة . وقرئ: « مباركا » على الحال وقوله: ﴿**ليدبروا**﴾ أصله : ليتدبروا ، فأدغمت التاء فى الدال وهو متعلق بأنزلناه . وفى الآية دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر فى معانيه ، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر . قرأ الجمهور : ﴿ **ليدبروا** ﴾ بالإدغام . وقرأ أبو جعفر وشيبة : « **لتدبروا** » بالتاء الفوقية على الخطاب ، ورويت هذه القراءة عن عاصم والكسائى ، وهى قراءة على رضى الله عنه، والأصل : لتتدبروا بتاءين ، فحذف إحداهما تخفيفا ﴿**وليتذكر أولو الألباب** ﴾ أى ليتعظ أهل العقول ، والألباب جمع لب وهو العقل .

﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** ﴾ أخبر سبحانه بأن من جملة نعمه على داود أنه وهب له سليمان ولدا، ثم مدح سليمان فقال : ﴿ **نعم العبد** ﴾ والمخصوص بالمدح محذوف، أى نعم العبد سليمان . وقيل : إن المدح هنا بقوله : ﴿ **نعم العبد** ﴾ هو لداود ، والأول أولى ، وجملة : ﴿ **إنه أواب** ﴾ تعليل لما قبلها من المدح ، والأواب : الرجاع إلى الله بالتوبة كما تقدم بيانه ، والظرف فى قوله : ﴿ **إذ عرض عليه** ﴾ متعلق بمحذوف وهو اذكر ، أى اذكر ما صدر عنه وقت عرض الصافنات الجياد عليه ﴿ **بالعشى** ﴾ وقيل : هو متعلق بنعم ، وهو مع كونه غير متصرف لا وجه لتقييده بذلك الوقت . وقيل : متعلق بأواب ، ولا وجه لتقييد كونه أوابا بذلك الوقت ، والعشى : من الظهر أو العصر إلى آخر النهار ، و﴿ **الصافنات** ﴾ جمع صافن .

وقد اختلف أهل اللغة فى معناه ، فقال القتيبى والفراء : الصافن فى كلام العرب :الواقف من الخيل أو غيرها ، وبه قال قتادة ، ومنه الحديث : « من أحب أن يتمثل له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار » أى يديمون القيام له ، واستدلوا بقول النابغة :

لنـا قبـة مضـروبة بفنـائها عتاق المهارى والجياد الصوافن

ولا حجة لهم فى هذا فإنه استدلال بمحل النزاع ، وهو مصادرة ، لأن النزاع فى الصافن ماذا هو ؟ وقال الزجاج: هو الذى يقف على إحدى اليدين ويرفع الأخرى ويجعل على الأرض طرف الحافر منها حتى كأنه يقوم على ثلاث وهى الرجلان وإحدى اليدين ، وقد يفعل ذلك بإحدى رجليه وهى علامة الفراهة ، وأنشد الزجاج قول الشاعر :

ألف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسير

ومن هذا قول عمرو بن كلثوم :

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا

فإن قوله : صفونا ، لابد أن يحمل على معنى غير مجرد القيام ، لأن مجرد القيام قد استفيد من قوله : عاكفة عليه . وقال أبو عبيد : الصافن : هو الذى يجمع يديه ويسويهما ،

وأما الذى يقف على سنبكه فاسمه المتخيم ، والجياد جمع جواد، يقال للفرس إذا كان شديد العدو . وقيل : إنها الطوال الأعناق ، مأخوذ من الجيد وهو العنق ، قيل : كانت مائة فرس. وقيل : كانت عشرين ألفا . وقيل : كانت عشرين فرسا . وقيل : إنها خرجت له من البحر وكانت لها أجنحة ﴿ **فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى** ﴾ انتصاب ﴿ **حب الخير** ﴾ على أنه مفعول أحببت بعد تضمينه معنى آثرت . قال الفراء: يقول : آثرت حب الخير ، وكل من أحب شيئا فقد آثره . وقيل : انتصابه على المصدرية بحذف الزوائد والناصب له أحببت ، وقيل: هو مصدر تشبيهى ، أى حبا مثل حب الخير ، والأول أولى . والمراد بالخير هنا : الخيل . قال الزجاج: الخير هنا: الخيل . وقال الفراء : الخير والخيل فى كلام العرب واحد . قال النحاس : وفى الحديث : « الخيل معقود بنواصيها الخير» [1] فكأنها سميت خيرا لهذا . وقيل : إنها سميت خيرا لما فيها من المنافع . و« عن » فى ﴿ **عن ذكر ربى** ﴾ بمعنى على . والمعنى : آثرت حب الخيل على ذكر ربى ، يعنى :صلاة العصر ﴿ **حتى توارت بالحجاب** ﴾ يعنى الشمس ولم يتقدم لها ذكر ولكن المقام يدل على ذلك . قال الزجاج : إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشىء أو دليل الذكر ، وقد جرى هنا الدليل وهو قوله بالعشى . والتوارى : الاستتار عن الأبصار ، والحجاب : ما يحجبها عن الأبصار . قال قتادة وكعب : الحجاب :جبل أخضر محيط بالخلائق وهو جبل قاف ، وسمى الليل حجابا ؛ لأنه يستر ما فيه . وقيل : الضمير فى قوله : ﴿ **حتى توارت** ﴾ للخيل ، أى حتى توارت فى المسابقة عن الأعين . والأول أولى .

وقوله : ﴿ **ردوها على** ﴾ من تمام قول سليمان ، أى أعيدوا عرضها على مرة أخرى . قال الحسن: إن سليمان لما شغله عرض الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله وقال : ردوها على، أى أعيدوها . وقيل : الضمير فى : ﴿ **ردوها** ﴾ يعود إلى الشمس ويكون ذلك معجزة له ، وإنما أمر بإرجاعها بعد مغيبها لأجل أن يصلى العصر ، والأول أولى ، والفاء فى قوله : ﴿**فطفق مسحا بالسوق والأعناق** ﴾ هى الفصيحة التى تدل على محذوف فى الكلام ، والتقدير هنا : فردوها عليه. قال أبو عبيدة : طفق يفعل ، مثل ما زال يفعل ، وهو مثل ظل وبات . وانتصاب ﴿ **مسحا** ﴾ على المصدرية بفعل مقدر، أى يمسح مسحا ؛ لأن خبر طفق لا يكون إلا فعلا مضارعا . وقيل : هو مصدر فى موضع الحال ، والأول أولى . والسوق جمع ساق ، والأعناق جمع عنق ، والمراد أنه طفق يضرب أعناقها وسوقها ، يقال : مسح علاوته، أى ضرب عنقه. قال الفراء : المسح هنا القطع ، قال : والمعنى أنه أقبل بضرب سوقها وأعناقها لأنها كانت سبب فوت صلاته ، وكذا قال أبو عبيدة . قال الزجاج : ولم يكن يفعل ذلك إلا وقد أباحه الله له ، وجائز أن يباح ذلك لسليمان ويحظر[2] فى هذا الوقت .

---

(١) البخارى فى المناقب (٣٦٤٤) ومسلم فى الإمارة (١٨٧١/ ٩٦) كلاهما عن ابن عمر .

(٢) فى المخطوطة « ويحضر » وهو خطز ، والصحيح ما أثبتناه ليستقيم المعنى .

وقد اختلف المفسرون فى تفسير هذه الآية ، فقال قوم : المراد بالمسح ما تقدم . وقال آخرون منهم الزهرى وقتادة : إن المراد به : المسح على سوقها وأعناقها لكشف الغبار عنها حبا لها . والقول الأول أولى بسياق الكلام فإنه ذكر أنه آثرها [١] على ذكر ربه حتى فاتته صلاة العصر ، ثم أمرهم بردها عليه ليعاقب نفسه بإفساد ما ألهاه عن ذلك وما صده عن عبادة ربه وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه ، ولا يناسب هذا أن يكون الغرض من ردها عليه هو كشف الغبار عن سوقها وأعناقها بالمسح عليها بيده أو بثوبه ، ولا متمسك لمن قال : إن إفساد المال لا يصدر عن النبى فإن هذا مجرد استبعاد باعتبار ما هو المتقرر فى شرعنا مع جواز أن يكون فى شرع سليمان أن مثل هذا مباح ، على أن إفساد المال المنهى عنه فى شرعنا إنما هو مجرد إضاعته لغير غرض صحيح ، وأما لغرض صحيح فقد جاز مثله فى شرعنا كما وقع منه ﷺ من إكفاء القدور التى طبخت من الغنيمة قبل القسمة [٢] ، ولهذا نظائر كثيرة فى الشريعة ، ومن ذلك ما وقع من الصحابة من إحراق طعام المحتكر .

وقد أخرج ابن عساكر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض** ﴾ قال : الذين آمنوا : على وحمزة وعبيدة بن الحارث ، والمفسدين فى الأرض : عتبة وشيبة والوليد . وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى هريرة قال : ﴿ **الصافنات الجياد** ﴾ : خيل خلقت على ما شاء . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله : ﴿ **الصافنات** ﴾ قال : صفون الفرس : رفع إحدى يديه حتى يكون على أطراف الحافر ، وفى قوله : ﴿ **الجياد** ﴾ : السراع . وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن ابن عباس فى قوله : ﴿**حب الخير**﴾ قال : الماء ، وفى قوله : ﴿ **ردوها على** ﴾ قال : الخيل . ﴿**فطفق مسحا**﴾ قال : عقرا بالسيف . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن على بن أبى طالب قال : الصلاة التى فرط فيها سليمان صلاة العصر . وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن إبراهيم التيمى فى قوله : ﴿ **إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد** ﴾ قال : كانت عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعقرها . وأخرج ابن إسحاق وابن جرير عن ابن مسعود بقوله : ﴿ **حتى توارت بالحجاب** ﴾ قال : توارت من وراء ياقوتة خضراء ، فخضرة السماء منها . وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن ابن عباس قال : كان سليمان لا يكلم إعظاما له ، فلقد فاتته صلاة العصر وما استطاع أحد أن يكلمه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **عن ذكر ربى** ﴾ يقول : من ذكر ربى ﴿ **فطفق مسحا بالسوق والأعناق** ﴾ قال : قطع سوقها وأعناقها بالسيف .

﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً**

(١) فى المطبوعة : « آخرها » وهو خطأ ، والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

(٢) البخارى فى الشركة (٢٤٨٨) وهو حديث طويل عن رافع بن خديج .

حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) ﴾ .

قوله : ﴿ **ولقد فتنا سليمان** ﴾ أى ابتليناه واختبرناه . قال الواحدى . قال أكثر المفسرين : تزوج سليمان امرأة من بنات الملوك ، فعبدت الصنم فى داره ولم يعلم بذلك سليمان ، فامتحن بسبب غفلته عن ذلك . وقيل : إن سبب الفتنة أنه تزوج سليمان امرأة يقال لها جرادة ، وكان يحبها حبا شديدا، فاختصم إليه فريقان: أحدهما من أهل جرادة ، فأحبّ أن يكون القضاء لهم، ثم قضى بينهم بالحق . وقيل : إن السبب أنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضى بين أحد . وقيل : إنه تزوّج جرادة هذه وهى مشركة لأنه عرض عليها الإسلام فقالت : اقتلنى ولا أسلم . وقال كعب الأحبار : إنه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه . وقال الحسن : إنه قارب بعض نسائه فى شىء من حيض أو غيره. وقيل : إنه أمر أن لا يتزوج امرأة إلا من بنى إسرائيل فتزوّج امرأة من غيرهم . وقيل : إن سبب فتنته ما ثبت فى الحديث الصحيح أنه قال : لأطوفنّ الليلة على تسعين امرأة تأتى كلّ واحدة بفارس يقاتل فى سبيل اللّه ، ولم يقل : إن شاء اللّه [1] . وقيل غير ذلك .

ثم بين سبحانه ما عاقبه به فقال: ﴿ **وألقينا على كرسيه جسدا** ﴾ انتصاب ﴿ **جسدا** ﴾ على أنه مفعول ﴿**ألقينا**﴾. وقيل : انتصابه على الحال على تأويله بالمشتق ، أى ضعيفا أو فارغا ، والأوّل أولى . قال أكثر المفسرين: هذا الجسد الذى ألقاه اللّه على كرسى سليمان هو شيطان اسمه صخر ، وكان متمرّدا عليه غير داخل فى طاعته ، ألقى اللّه شبه سليمان عليه ومازال يحتال حتى ظفر بخاتم سليمان ، وذلك عند دخول سليمان الكنيف لأنه كان يلقيه إذا دخل الكنيف، فجاء صخر فى صورة سليمان فأخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان ، فقعد على سرير سليمان وأقام أربعين يوما على ملكه وسليمان هارب . وقال مجاهد : إن شيطانا قال له سليمان : كيف تفتنون الناس ؟ قال : أرنى خاتمك أخبرك ، فلما أعطاه إياه نبذه فى البحر ، فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن ، وكان سليمان يستطعم فيقول : أتعرفوننى ؟ أطعمونى فيكذبوه حتى أعطته امرأة يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمه فى بطنه فرجع إليه ملكه ، وهو معنى قوله : ﴿ **ثم أناب** ﴾ أى رجع إلي ملكه بعد أربعين يوما . وقيل : معنى ﴿ **أناب** ﴾ : رجع إلى الله بالتوبة من ذنبه ، وهذا هو الصواب ، وتكون جملة : ﴿ **قال رب اغفر لى** ﴾ بدلا من جملة أناب وتفسيرا له ، أى اغفر لى ما صدر عنى من الذنب الذى ابتليتنى لأجله . ثم لما قدم التوبة والاستغفار جعلها وسيلة إلى إجابة طلبته فقال ﴿ **وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى** ﴾ قال أبو عبيدة : معنى لا ينبغى لأحد من بعده : لا يكون لأحد من بعدى . وقيل : المعنى : لا ينبغى لأحد أن يسلبه منى بعد هذه السلبة ، أو لا يصح لأحد من

---

(١) البخارى فى الأيمان (٦٦٣٩) ومسلم فى الأيمان (١٦٥٤/٢٣) كلاهما عن أبى هريرة .

بعدى لعظمته وليس هذا من سؤال نبى الله سليمان عليه السلام للدنيا وملكها والشرف بين أهلها، بل المراد بسؤاله الملك : أن يتمكن به من إنفاذ أحكام الله سبحانه ، والأخذ على يد المتمردين من عباده من الجن والإنس ، ولو لم يكن من المقتضيات لهذا السؤال منه إلا ما رآه عند قعود الشيطان على كرسيه من الأحكام الشيطانية الجارية فى عباد الله ، وجملة : ﴿ **إنك أنت الوهاب** ﴾ تعليل لما قبلها مما طلبه من مغفرة الله له وهبه الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده ، أى فإنك كثير الهبات عظيم الموهوبات .

ثم ذكر سبحانه إجابته لدعوته وإعطاءه لمسألته فقال : ﴿ **فسخرنا له الريح** ﴾ أى ذللناها له وجعلناها منقادة لأمره. ثم بين كيفية التسخير لها بقوله : ﴿ **تجرى بأمره رخاء** ﴾ أى لينة الهبوب ليست بالعاصف ، مأخوذ من الرخاوة ، والمعنى أنها ريح لينة لا تزعزع ولا تعصف مع قوة هبوبها وسرعة جريها ، ولا ينافى هذا قوله فى آية أخرى : ﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره ﴾ [الأنبياء : ٨١] لأن المراد أنها فى قوة العاصفة ولا تعصف . وقيل : إنها كانت تارة رخاء ، وتارة عاصفة على ما يريده سليمان ويشتهيه ، وهذا أولى فى الجمع بين الآيتين ﴿**حيث أصاب** ﴾ أى حيث أراد. قال الزجاج : إجماع أهل اللغة والمفسرين أن معنى ﴿ **حيث أصاب**﴾: حيث أراد ، وحقيقته حيث قعد. وقال الأصمعى وابن الأعرابى: العرب تقول : أصاب الصواب وأخطأ الجواب. وقيل : إن معنى أصاب بلغة حمير : أراد وليس من لغة العرب . وقيل: هو بلسان هجر . والأول أولى ، وهو مأخوذ من إصابة السهم للغرض ﴿ **والشياطين** ﴾ معطوف على الريح ، أى وسخرنا له الشياطين . وقوله : ﴿ **كل بناء وغواص** ﴾ بدل من الشياطين ، أى كل بناء منهم وغواص منهم يبنون له ما يشاء من المبانى ، ويغوصون فى البحر فيستخرجون له الدر منه ، ومن هذا قول الشاعر :

إلا سليمان إذ قال الجليـــــل له ... قم فى البرية فاحددها عن الفنـــد

وخيس الجن أنى قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفـــاح والعمـــد

﴿ **وآخرين مقرنين فى الأصفاد** ﴾ معطوف على كل داخل فى حكم البدل ، وهم مردة الشياطين سخروا له حتى قرنهم فى الأصفاد . يقال : قرنهم فى الحبال إذا كانوا جماعة كثيرة ، والأصفاد : الأغلال واحدها صفد . قال الزجاج : هى السلاسل ، فكل ما شددته شدا وثيقا بالحديد وغيره فقد صفدته . قال أبو عبيدة : صفدت الرجل فهو مصفود ، وصفدته فهو مصفد، ومن هذا قول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأبنا بالملوك مصفدينا

قال يحيى بن سلام : ولم يكن يفعل ذلك إلا بكفارهم ، فإذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم، والإشارة بقوله : ﴿ **هذا** ﴾ إلى ما تقدم من تسخير الريح والشياطين له ، وهو بتقدير القول ، أى وقلنا له ﴿ **هذا عطاؤنا** ﴾ الذى أعطيناكه من الملك العظيم الذى طلبته ﴿ **فامنن أو أمسك** ﴾

قال الحسن والضحاك وغيرهما: أى فأعط من شئت وامنع من شئت ﴿ **بغير حساب** ﴾ لا حساب عليك فى ذلك الإعطاء أو الإمساك ، أو عطاؤنا لك بغير حساب لكثرته وعظمته . وقال قتادة : إن قوله : ﴿ **هذا عطاؤنا** ﴾ إشارة إلى ما أعطيه من قوة الجماع ، وهذا لا وجه لقصر الآية عليه لو قدرنا أنه قد تقدم ذكره من جملة تلك المذكورات ، فكيف يدعى اختصاص الآية به مع عدم ذكره ؟ ﴿ **وإن له عندنا لزلفى** ﴾ أى قربة في الآخرة ﴿ **وحسن مآب** ﴾ وحسن مرجع ، وهو الجنة .

وقد أخرج الفريابى والحكيم الترمذى والحاكم وصححه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا** ﴾ قال : هو الشيطان الذى كان على كرسيه يقضى بين الناس أربعين يوما ، وكان لسليمان امرأة يقال لها جرادة ، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة، فقضى بينهم بالحق إلا أنه ود أن الحق كان لأهلها، فأوحى الله إليه أن سيصيبك بلاء ، فكان لا يدرى أيأتيه من السماء أم من الأرض [(١)] . وأخرج النسائى وابن جرير وابن أبى حاتم قال السيوطى : بسند قوى ، عن ابن عباس قال : أراد سليمان أن يدخل الخلاء فأعطى لجرادة خاتمه. وكانت جرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه ، فجاء الشيطان فى صورة سليمان فقال لها: هاتى خاتمى فأعطته ، فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين ، فلما خرج سليمان من الخلاء قال: هاتى خاتمى، قالت: قد أعطيته سليمان . قال أنا سليمان ، قالت : كذبت لست سليمان، فجعل لا يأتى أحدا يقول : أنا سليمان إلا كذبه ، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة ، فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله ، وقام الشيطان يحكم بين الناس ، فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه ألقى فى قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان ، فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن: تنكرن من أمر سليمان شيئًا ؟ قلن : نعم ، إنه يأتينا ونحن نحيض ، وما كان يأتينا قبل ذلك ، فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع ، فكتبوا كتبًا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسى سليمان ، ثم أثاروها وقرؤوها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرونه ، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه فى البحر فتلقفته سمكة فأخذته ، وكان سليمان يعمل على شط البر بالأجر ، فجاء رجل فاشترى سمكًا فيه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم ، فدعا سليمان فقال : تحمل لى هذا السمك ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : بسمكة من هذا السمك ، فحمل سليمان السمك ثم انطلق به إلى منزله ، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم، فأخذها سليمان فشق بطنها فإذا الخاتم فى جوفها فأخذه فلبسه ، فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر ، فأرسل سليمان فى طلبه ، وكان شيطانًا مريدًا ، فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يومًا نائمًا فجاؤوا فبنوا عليه بنيانًا من رصاص فاستيقظ فوثب ، فجعل لا يثب فى مكان من البيت إلا انماط معه

(١) صححه الحاكم ٢/ ٤٣٤ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

الرصاص فأخذوه فأوثقوه وجاؤوا به إلى سليمان فأمر به فنقر له تخت من رخام ، ثم أدخله ثم أخله فى جوفه ، ثم شد بالنحاس ، ثم أمر به فطرح فى البحر ، فذلك قوله : ﴿ **ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً** ﴾ يعنى : الشيطان الذى كان سلط عليه (١) .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وألقينا على كرسيه جسداً** ﴾ قال : صخر الجنى تمثل على كرسيه على صورته . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن عفريتًا من الجن جعل يتفلت على البارحة ليقطع على صلاتى ، وإن الله أمكننى منه ، فلقد هممت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا فتنظروا إليه كلكم ، فذكرت قول أخى سليمان : ﴿ **وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى** ﴾ فرده الله خاسئًا » (٢) . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **فامنن** ﴾ يقول : اعتق من الجن من شئت وأمسك منهم من شئت .

﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ (٥٤)** ﴾ .

قوله : ﴿ **واذكر عبدنا أيوب** ﴾ معطوف على قوله : ﴿ **واذكر عبدنا داود** ﴾ وأيوب عطف بيان ، و﴿ **إذ نادى ربه** ﴾ بدل اشتمال من عبدنا ﴿ **أنى مسنى الشيطان** ﴾ قرأ الجمهور بفتح الهمزة على أنه حكاية لكلامه الذى نادى ربه به ، ولو لم يحكه لقال : إنه مسه . وقرأ عيسى ابن عمر بكسرها على إضمار القول . وفى ذكر قصة أيوب إرشاد لرسول الله ﷺ إلى الاقتداء

---

(١) قال ابن كثير ٦/ ٦٢ : « إسناده إلى ابن عباس قوى ، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس ـ إن صح عنه ـ من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون بنبوة سليمان عليه السلام ، فالظاهر أنهم يكذبون عليه ؛ ولهذا كان فى هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء ؛ فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه تشريفًا وتكريمًا لنبيه » .

(٢) أحمد ٢/ ٢٩٨ والبخارى فى التفسير (٤٨٠٨) ومسلم فى المساجد (٥٤١/ ٣٩) والنسائى فى التفسير (٤٦٠)، كلهم عن أبى هريرة .

به فى الصبر على المكاره . قرأ الجمهور بضم النون من قوله : ﴿ **بنصب** ﴾ وسكون الصاد ، فقيل : هو جمع نصب بفتحتين نحو أسد وأسد . وقيل : هو لغة فى النصب ، نحو رشد ورشد . وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة وحفص ونافع فى رواية عنه بضمتين ، ورويت هذه القراءة عن الحسن . وقرأ أبو حيوة ويعقوب وحفص فى رواية بفتح وسكون ، وهذه القراءات كلها بمعنى واحد ، وإنما اختلفت القراءات باختلاف اللغات . وقال أبو عبيدة : إن النصب، بفتحتين: التعب والإعياء، وعلى بقية القراءات الشر والبلاء، ومعنى قوله: ﴿**وعذاب**﴾ أى ألم . قال قتادة ومقاتل : النصب فى الجسد ، والعذاب فى المال . قال النحاس : وفيه بعد كذا قال . والأولى تفسير النصب بالمعنى اللغوى وهو التعب والإعياء ، وتفسير العذاب بما يصدق عليه مسمى العذاب وهو الألم ، وكلاهما راجع إلى البدن .

﴿ **اركض برجلك** ﴾ هو بتقدير القول ، أى قلنا له : اركض برجلك كذا قال الكسائى ، والركض : الدفع بالرجل ، يقال : ركض الدابة برجله : إذا ضربها بها . وقال المبرد: الركض: التحريك . قال الأصمعى : يقال : ركضت الدابة ، ولا يقال : ركضت هى ؛ لأن الركض إنما هو تحريك راكبها رجليه ، ولا فعل لها فى ذلك ، وحكى سيبويه : ركضت الدابة فركضت ، مثل جبرت العظم فجبر ﴿ **هذا مغتسل بارد وشراب** ﴾ هذا أيضًا من مقول القول المقدر ، المغتسل : هو الماء الذى يغتسل به ، والشراب : الذى يشرب منه . وقيل : إن المغتسل : هو المكان الذى يغتسل فيه . قال قتادة : هما عينان بأرض الشام فى أرض يقال لها : الجابية ، فاغتسل من إحداهما فأذهب الله ظاهر دائه ، وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه ، وكذا قال الحسن . وقال مقاتل : نبعت عين جارية فاغتسل فيها فخرج صحيحًا ، ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماء عذبًا باردًا . وفى الكلام حذف ، والتقدير : فركض برجله فنبعت عين ، فقلنا له : ﴿ **هذا مغتسل** ﴾ إلخ ، وأسند المس إلى الشيطان مع أن الله سبحانه هو الذى مسه بذلك : إما لكونه لما عمل بوسوسته عوقب على ذلك بذلك النصب والعذاب . فقد قيل : إنه أعجب بكثرة ماله. وقيل : استغاثه مظلوم فلم يغثه . وقيل : إنه قال ذلك على طريقة الأدب . وقيل : المراد به : ما كان يوسوسه الشيطان إليه حال مرضه وابتلائه من تحسين الجزع وعدم الصبر على المصيبة . وقيل غير ذلك .

وقوله : ﴿ **ووهبنا له أهله** ﴾ معطوف على مقدر كأنه قيل : فاغتسل وشرب ، فكشفنا بذلك ما به من ضر ووهبنا له أهله . قيل : أحياهم الله بعد أن أماتهم . وقيل : جمعهم بعد تفرقهم . وقيل : غيرهم مثلهم ، ثم زاده مثلهم معهم ، وهو معنى قوله : ﴿ **ومثلهم معهم** ﴾ فكانوا مثلى ما كانوا من قبل ابتلائه ، وانتصاب قوله : ﴿ **رحمة منا وذكرى لأولى الألباب** ﴾ على أنه مفعول لأجله ، أى وهبناهم له لأجل رحمتنا إياه ، وليتذكر بحاله أولو الألباب فيصبروا على الشدائد كما صبر ، وقد تقدم فى سورة الأنبياء تفسير هذه الآية مستوفى فلا نعيده . ﴿**وخذ بيدك ضغثًا**﴾ معطوف على ﴿ **اركض** ﴾ أو على ﴿ **وهبنا** ﴾ ؛ أو التقدير : وقلنا له : ﴿ **خذ**

بيدك ضغثًا ﴾ والضغث : عثكال النخل بشماريخه . وقيل : هو قبضة من حشيش مختلط رطبها بيابسها . وقيل : الحزمة الكبيرة من القضبان ، وأصل المادة تدل على جمع المختلطات . قال الواحدى : الضغث : ملء الكف من الشجر والحشيش والشماريخ ﴿ **فاضرب به ولا تحنث** ﴾ أى اضرب بذلك الضغث ولا تحنث فى يمينك . والحنث : الإثم ، ويطلق على فعل ما حلف على تركه ، وكان أيوب قد حلف فى مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة .

واختلف فى سبب ذلك ، فقال سعيد بن المسيب : إنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها . وقال يحيى بن سلام وغيره : إن الشيطان أغواها أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة تقربًا إليه ، فإنه إذا فعل ذلك برئ ، فحلف ليضربنها إن عوفى مائة جلدة . وقيل : باعت ذؤابتها برغيفين إذ لم تجد شيئًا وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام ؛ فلهذا حلف ليضربنها . وقيل : جاءها إبليس فى صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب ، فقال : أداويه على أنه إذا برئ قال : أنت شفيتنى ، لا أريد جزاء سواه ، قالت : نعم ، فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها . وقد اختلف العلماء هل هذا خاص بأيوب أو عام للناس كلهم ؟ وأن من حلف خرج من يمينه بمثل ذلك . قال الشافعى : إذا حلف ليضربن فلانًا مائة جلدة أو ضربًا ولم يقل : ضربًا شديدًا ولم ينو بقلبه ، فيكفيه مثل هذا الضرب المذكور فى الآية ، حكاه ابن المنذر عنه وعن أبى ثور وأصحاب الرأى . وقال عطاء : هو خاص بأيوب ورواه ابن القاسم عن مالك . ثم أثنى الله سبحانه على أيوب فقال : ﴿ **إنا وجدناه صابرًا** ﴾ أى على البلاء الذى ابتليناه به ، فإنه ابتلى بالداء العظيم فى جسده وذهاب ماله وأهله وولده فصبر ﴿ **نعم العبد** ﴾ أى أيوب ﴿ **إنه أواب** ﴾ أى رجاع إلى الله بالاستغفار والتوبة .

﴿ **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **عبادنا** ﴾ بالجمع . وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد وابن محيصن وابن كثير : « عبدنا » بالإفراد . فعلى قراءة الجمهور يكون إبراهيم وإسحاق ويعقوب عطف البيان ، وعلى القراءة الأخرى يكون إبراهيم عطف بيان ، وما بعده عطف على عبدنا لا على إبراهيم . وقد يقال : لما كان المراد بعبدنا الجنس جاز إبدال الجماعة منه . وقيل : إن إبراهيم وما بعده بدل ، أو النصب بإضمار أعنى وعطف لبيان أظهر ، وقراءة الجمهور أبين وقد اختارها أبو عبيد وأبو حاتم ﴿ **أولى الأيدى والأبصار** ﴾ الأيدى ، جمع اليد التى بمعنى القوة والقدرة . قال قتادة : أعطوا قوة فى العبادة ونصرًا فى الدين . قال الواحدى: وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير والمفسرون . قال النحاس : أما الأبصار فمتفق على أنها البصائر فى الدين والعلم . وأما الأيدى فمختلف فى تأويلها ؛ فأهل التفسير يقولون : إنها القوة فى الدين، وقوم يقولون: الأيدى جمع يد وهى النعمة: أى هم أصحاب النعم : أى الذين أنعم الله عز وجل عليهم . وقيل : هم أصحاب النعم على الناس والإحسان إليهم ؛ لأنهم قد أحسنوا وقدموا خيرًا ، واختار هذا ابن جرير . قرأ الجمهور : ﴿ **وأولى الأيدى** ﴾ بإثبات الياء فى الأيدى . وقرأ ابن مسعود والأعمش والحسن وعيسى : « الأيد » بغير ياء . فقيل : معناها

معنى القراءة الأولى ، وإنما حذفت الياء لدلالة كسرة الدال عليها . وقيل : الأيد : القوة .

وجملة : ﴿ **إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار** ﴾ تعليل لما وصفوا به . قرأ الجمهور : ﴿**بخالصة**﴾ بالتنوين وعدم الإضافة على أنها مصدر بمعنى الإخلاص ، فيكون ذكرى منصوبا به ، أو بمعنى الخلوص فيكون ذكرى مرفوعًا به ، أو يكون خالصة اسم فاعل على بابه ، وذكرى بدلاً منها أو بيانًا لها أو بإضمار أعنى أو مرفوعة بإضمار مبتدأ ، والدار يجوز أن تكون مفعولاً به لذكرى وأن تكون ظرفًا : إما على الاتساع ، أو على إسقاط الخافض ؛ وعلى كل تقدير فخالصة صفة لموصوف محذوف والباء للسببية ، أو بسبب خصلة خالصة . وقرأ نافع وشيبة وأبو جعفر وهشام عن ابن عامر بإضافة خالصة إلى ذكرى على أن الإضافة للبيان ، لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى ، أو على أن خالصة مصدر مضاف إلى مفعوله والفاعل محذوف . أى بأن أخلصوا ذكرى الدار ، أو مصدر بمعنى الخلوص مضافًا إلى فاعله . قال مجاهد : معنى الآية : استصفيناهم بذكر الآخرة فأخلصناهم بذكرها . وقال قتادة : كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله. وقال السدى : أخلصوا بخوف الآخرة . قال الواحدى : فمن قرأ بالتنوين فى خالصة كان المعنى: جعلناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار ، والخالصة مصدر بمعنى الخلوص والذكرى بمعنى التذكر ، أى خلص لهم تذكر الدار ، وهو أنهم يذكرون التأهب لها ويزهدون فى الدنيا ، وذلك من شأن الأنبياء . وأما من أضاف فالمعنى : أخلصنا لهم بأن خلصت لهم ذكرى الدار ، والخالصة مصدر مضاف إلى الفاعل ، والذكرى على هذا المعنى الذكر ﴿ **وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار** ﴾ الاصطفاء : الاختيار ، والأخيار جمع خير بالتشديد والتخفيف كأموات فى جمع ميت مشددًا ومخففًا ؛ والمعنى : إنهم عندنا لمن المختارين من أبناء جنسهم من الأخيار .

﴿ **واذكر إسماعيل** ﴾ قيل : وجه إفراده بالذكر بعد ذكر أبيه وأخيه ، وابن أخيه ؛ للإشعار بأنه عريق فى الصبر الذى هو المقصود بالتذكير هنا ﴿ **واليسع وذا الكفل** ﴾ قد تقدم ذكر اليسع والكلام فيه فى الأنعام ، وتقدم ذكر ذى الكفل والكلام فيه فى سورة الأنبياء ، والمراد من ذكر هؤلاء : أنهم من جملة من صبر من الأنبياء وتحملوا الشدائد فى دين الله . أمر الله رسوله ﷺ بأن يذكرهم ليسلك مسلكهم فى الصبر ﴿ **وكل من الأخيار** ﴾ يعنى : الذين اختارهم الله لنبوته واصطفاهم من خلقه . ﴿ **هذا ذكر** ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من ذكر أوصافهم ، أى هذا ذكر جميل فى الدنيا وشرف يذكرون به أبدًا ﴿ **وإن للمتقين لحسن مآب** ﴾ أى لهم مع هذا الذكر الجميل حسن مآب فى الآخرة ، والمآب : المرجع ، والمعنى : أنهم يرجعون فى الآخرة إلى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنته . ثم بين حسن المرجع فقال : ﴿ **جنات عدن** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿**جنات** ﴾ بالنصب بدلاً من حسن مآب ، سواء كان جنات عدن معرفة أو نكرة لأن المعرفة تبدل من النكرة وبالعكس ، ويجوز أن يكون جنات عطف بيان إن كانت نكرة ، ولا يجوز ذلك فيها إن كانت معرفة على مذهب جمهور النحاة وقد جوزه بعضهم . ويجوز أن يكون نصب جنات بإضمار فعل . والعدن فى الأصل : الإقامة . يقال : عدن بالمكان : إذا أقام فيه . وقيل : هو

اسم لقصر فى الجنة ، وقرئ برفع جنات على أنها مبتدأ . وخبرها مفتحة أو على أنها خبر مبتدأ محذوف ، أى هى جنات عدن ، وقوله : ﴿ **مفتحة لهم الأبواب** ﴾ حال من جنات ، والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل، والأبواب مرتفعة باسم المفعول: كقوله : ﴿ وفتحت أبوابها ﴾ [الزمر : ٧٣] والرابط بين الحال وصاحبها ضمير مقدر ، أى منها ، أو الألف واللام لقيامه مقام الضمير ؛ إذ الأصل أبوابها. وقيل : إن ارتفاع الأبواب على البدل من الضمير فى مفتحة ، العائد على جنات ، وبه قال أبو على الفارسى ، أى مفتحة هى الأبواب . قال الفراء : المعنى مفتحة أبوابها ، والعرب تجعل الألف واللام خلفا من الإضافة . وقال الزجاج : المعنى مفتحة لهم الأبواب منها. قال الحسن: إن الأبواب يقال لها : انفتحى فتنفتح ، انغلقى فتنغلق . وقيل : تفتح لهم الملائكة الأبواب . وانتصاب ﴿ **متكئين فيها** ﴾ على الحال من ضمير لهم ، والعامل فيه مفتحة . وقيل : هو حال من ﴿ **يدعون** ﴾ قدمت على العامل ﴿ **فيها** ﴾ أى يدعون فى الجنات حال كونهم متكئين فيها ﴿ **بفاكهة كثيرة** ﴾ أى بألوان متنوعة متكثرة من الفواكه ﴿ **وشراب** ﴾ كثير ، فحذف كثيرًا لدلالة الأول عليه ، وعلى جعل ﴿ **متكئين** ﴾ حالاً من ضمير لهم ، والعامل فيه مفتحة ، فتكون جملة : ﴿ **يدعون** ﴾ مستأنفة لبيان حالهم . وقيل : إن يدعون فى محل نصب على الحال من ضمير متكئين .

﴿ **وعندهم قاصرات الطرف أتراب** ﴾ أى قاصرات طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ، وقد مضى بيانه فى سورة الصافات . والأتراب : المتحدات فى السن ، أو المتساويات فى الحسن . وقال مجاهد : معنى ﴿ **أتراب** ﴾ : أنهن متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن . وقيل: أترابًا للأزواج . والأتراب جمع ترب ، واشتقاقه من التراب لأنه يمسهن فى وقت واحد لاتحاد مولدهن . ﴿ **هذا ما توعدون ليوم الحساب** ﴾ أى هذا الجزاء الذى وعدتم به لأجل يوم الحساب ، فإن الحساب علة للوصول إلى الجزاء ، أو المعنى : فى يوم الحساب . قرأ الجمهور : ﴿ **ما توعدون** ﴾ بالفوقية على الخطاب . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن ويعقوب بالتحتية على الخبر ، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله : ﴿ **وإن المتقين** ﴾ فإنه خبر ﴿**إن هذا لرزقنا** ﴾ أى إن هذا المذكور من النعم والكرامات لرزقنا الذى أنعمنا به عليكم ﴿ **ما له من نفاد** ﴾ أى انقطاع ولا يفنى أبدًا، ومثله قوله: ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ [هود : ١٠٨] فنعم الجنة لا تنقطع عن أهلها .

وقد أخرج أحمد فى الزهد وابن أبى حاتم وابن عساكر عن ابن عباس قال : إن الشيطان عرج إلى السماء ، فقال : يا رب ، سلطنى على أيوب ، قال الله : لقد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده ، فنزل فجمع جنوده ، فقال لهم : قد سلطت على أيوب فأرونى سلطانكم ، فصاروا نيرانًا ثم صاروا ماء ، فبينما هم فى المشرق إذا هم بالمغرب ، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق . فأرسل طائفة منهم إلى زرعه وطائفة إلى أهله ، وطائفة إلى بقره ، وطائفة إلى غنمه وقال : إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف ، فأتوه بالمصائب بعضها على بعض ،

فجاء صاحب الزرع فقال : يا أيوب ، ألم تر إلى ربك أرسل على زرعك نارًا فأحرقته ؟ ثم جاء صاحب الإبل ، فقال : يا أيوب ألم تر إلى ربك أرسل إلى إبلك عدوًا فذهب بها ؟ ثم جاء صاحب البقر فقال : يا أيوب ، ألم تر إلى ربك أرسل إلى بقرك عدوًا فذهب بها ؟ ثم جاء صاحب الغنم فقال : يا أيوب ، ألم تر إلى ربك أرسل على غنمك عدوًا فذهب بها ؟ وتفرد هو لبنيه فجمعهم فى بيت أكبرهم ، فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم . فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام بأذنيه قرطان فقال : يا أيوب ، ألم تر إلى ربك جمع بنيك فى بيت أكبرهم فبينما هم يأكلون ويشربون ، إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم ، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم ؟ فقال له أيوب : فأين كنت ؟ قال : كنت معهم ، قال : فكيف انفلت ؟ قال : انفلت ، قال أيوب : أنت الشيطان ؛ ثم قال أيوب : أنا اليوم كيوم ولدتنى أمى ، فقام فحلق رأسه وقام يصلى ، فرن إبليس رنة سمعها أهل السماء وأهل الأرض ، ثم عرج إلى السماء فقال : أى رب ، إنه قد اعتصم فسلطنى عليه فإنى لا أستطيعه إلا بسلطانك ، قال : قد سلطتك على جسده ولم أسلطك على قلبه ، فنزل فنفخ تحت قدمه نفخة قرح ما بين قدمه إلى قرنه ، فصار قرحة واحدة وألقى على الرماد حتى بدا حجاب قلبه ، فكانت امرأته تسعى عليه حتى قالت له : ألا ترى يا أيوب قد نزل والله بى من الجهد والفاقة ما إن بعت قرونى برغيف فأطعمتك ، فادع الله أن يشفيك ويريحك قال : ويحك كنا فى النعيم سبعين عامًا ، فاصبرى حتى نكون فى الضراء سبعين عامًا، فكان فى البلاء سبع سنين ودعا ، فجاء جبريل يومًا فدعا بيده ، ثم قال : قم ، فقام فنحاه عن مكانه ، وقال : اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، فركض برجله فنبعت عين ، فقال : اغتسل ، فاغتسل منها ثم جاء أيضًا ، فقال : اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، فركض برجله فنبعت عين ، فقال : اغتسل ، فاغتسل منها ثم جاء أيضًا ، فقال : اركض برجلك فنبعت عين أخرى فقال له : اشرب منها . وهو قوله : ﴿ **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب** ﴾ وألبسه الله حلة من الجنة ، فتنحى أيوب فجلس فى ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت : يا عبد الله ، أين المبتلى الذى كان ها هنا ؟ لعل الكلاب قد ذهبت به أو الذئاب وجعلت تكلمه ساعة ، فقال : ويحك أنا أيوب قد رد الله على جسدى ، ورد عليه ماله وولده عيانًا ومثلهم معهم ، وأمطر عليه جرادًا من ذهب ، فجعل يأخذ الجراد بيده ثم يجعله فى ثوبه وينشر كساءه ويأخذه فيجعل فيه . فأوحى الله إليه : يا أيوب ، أما شبعت ؟ قال : يا رب ، من ذا الذى يشبع من فضلك ورحمتك ؟ وفى هذا نكارة شديدة ، فإن الله سبحانه لا يمكن الشيطان من نبى من أنبيائه ويسلط عليه هذا التسلط العظيم .

وأخرج أحمد فى الزهد ، وعبد بن حميد وابن أبى حاتم وابن عساكر عن ابن عباس قال: إن إبليس قعد على الطريق وأخذ تابوتًا يداوى الناس ، فقالت امرأة أيوب : يا عبد الله ، إن هاهنا مبتلى من أمره كذا وكذا فهل لك أن تداويه ؟ قال : نعم بشرط إن أنا شفيته أن يقول :

أنت شفيتنى لا أريد منه أجرًا غيره. فأنت أيوب فذكرت له ذلك ، فقال : ويحك ذاك الشيطان. لله على إن شفانى الله أن أجلدك مائة جلدة ، فلما شفاه الله أمره أن يأخذ ضغثًا فيضربها به ، فأخذ عذقًا فيها مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عنه فى قوله : ﴿ **خذ بيدك ضغثًا** ﴾ قال : هو الأسل . وأخرج ابن المنذر عنه أيضًا قال : الضغث : القبضة من المرعى الرطب . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه أيضًا قال : الضغث: الحزمة . وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والطبرانى وابن عساكر من طريق أبى أمامة بن سهل بن حنيف قال: « حملت وليدة فى بنى ساعدة من زنا ، فقيل لها : ممن حملك؟ قالت: من فلان المقعد . فسئل المقعد فقال : صدقت . فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : خذوا عثكولاً فيه مائة شمراخ فاضربوه به ضربة واحدة » (١) . وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والطبرانى وابن عساكر نحوه من طريق أخرى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن سعيد بن سعد بن عبادة (٢) . وأخرج الطبرانى عن سهل بن سعد نحوه (٣) . وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : أيوب رأس الصابرين يوم القيامة . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **أولى الأيدى** ﴾ قال القوة فى العبادة ﴿ **والأبصار** ﴾ قال : الفقه فى الدين . وأخرج ابن أبى حاتم عنه ﴿ **أولى الأيدى** ﴾ قال : النعمة . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار** ﴾ قال : أخلصوا بذكر دار الآخرة أن يعملوا لها .

﴿ **هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠)** ﴾ .

---

(١) الطبرانى (٥٥٨٧) والنسائى ٨/ ٢٤٢ والبيهقى ٨/ ٢٣٠ .

(٢) أحمد ٥/ ٢٢٢ والطبرانى (٥٥٢١) وأخرجه ابن ماجة فى الحدود (٢٥٧٤) ، وفى الزوائد : « مدار الإسناد على محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة » ، والبيهقى ٨/ ٢٣٠ .

(٣) الطبرانى (٢٨٢٠) وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٢٥٥ : « وفيه أبو بكر بن أبى سبرة وهو ضعيف » والبيهقى ٨/ ٢٣٠ .

قوله : ﴿ **هذا** ﴾ قال الزجاج : هذا خبر مبتدأ محذوف ، أى الأمر هذا فيوقف على هذا . قال ابن الأنبارى : وهذا وقف حسن ثم يبتدئ ﴿ **وإن للطاغين** ﴾ ويجوز أن يكون هذا مبتدأ وخبره محذوف ، أى هذا كما ذكر أو هذا ذكر . ثم ذكر سبحانه ما لأهل الشر بعد أن ذكر ما لأهل الخير فقال : ﴿ **وإن للطاغين لشر مآب** ﴾ أى الذين طغوا على الله وكذبوا رسله ﴿ **لشر مآب**﴾ لشر منقلب ينقلبون إليه ، ثم بين ذلك فقال: ﴿ **جهنم يصلونها** ﴾ وانتصاب ﴿ **جهنم** ﴾ على أنها بدل من ﴿ **شر مآب** ﴾ ، أو منصوبة بأعنى ، ويجوز أن يكون عطف بيان على قول البعض كما سلف قريبا ، ويجوز أن يكون منصوبا على الاشتغال ، أى يصلون جهنم يصلونها ، ومعنى ﴿**يصلونها** ﴾ يدخلونها ، وهو فى محل نصب على الحالية ﴿ **فبئس المهاد** ﴾ أى بئس ما مهدوا لأنفسهم ، وهو الفراش ، مأخوذ من مهد الصبى ، ويجوز أن يكون المراد بالمهد الموضع ، والمخصوص بالذم محذوف ، أى بئس المهاد هى كما فى قوله : ﴿ **لهم من جهنم مهاد** ﴾ [الأعراف: ٤١] شبه الله سبحانه ما تحتهم من نار جهنم بالمهاد ﴿**هذا فليذوقوه حميم وغساق**﴾ هذا فى موضع رفع بالابتداء وخبره حميم وغساق على التقديم والتأخير ، أى هذا حميم وغساق فليذوقوه . قال الفراء والزجاج : تقدير الآية : هذا حميم وغساق فليذوقوه ، أو يقال لهم فى ذلك اليوم هذه المقالة . والحميم الماء الحار الذى قد انتهى حره . والغساق ما سال من جلود أهل النار من القيح والصديد ، من قولهم : غسقت عينه إذا انصبت ، والغسقان الانصباب . قال النحاس : ويجوز أن يكون المعنى : الأمر هذا ، وارتفاع حميم وغساق على أنهما خبران لمبتدأ محذوف ، أى هو حميم وغساق ، ويجوز أن يكون هذا فى موضع نصب بإضمار فعل يفسره ما بعده، أى ليذوقوا هذا فليذوقوه ، ويجوز أن يكون حميم مرتفع على الابتداء وخبره مقدر قبله ، أى منه حميم ومنه غساق ، ومثله قول الشاعر :

حتى ما إذا أضاء البرق فى غلس　　　وغودر البقل ملوى ومخضود

أى منه ملوى ومنه مخضود . وقيل : الغساق ما قتل ببرده ، ومنه قيل : لليل غاسق ، لأنه أبرد من النهار . وقيل : هو الزمهرير وقيل : الغساق : المنتن . وقيل : الغساق : عين فى جهنم يسيل منه كل ذوب حية وعقرب . وقال قتادة : هو ما يسيل من فروج النساء الزوانى ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم . وقال محمد بن كعب : هو عصارة أهل النار . وقال السدى : الغساق : الذى يسيل من دموع أهل النار يسقونه مع الحميم ، وكذا قال ابن زيد . وقال مجاهد ومقاتل : هو الثلج البارد الذى قد انتهى برده ، وتفسير الغساق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب، ومنه قول الشاعر :

إذا ما تذكرت الحياة وطيبها　　　إلى جرى دمع من الليل غاسق

أى بارد ، وأنسب أيضا بمقابلة الحميم . وقرأ أهل المدينة وأهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين من « غساق » وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة بالتشديد ، وهما لغتان

بمعنى واحد كما قال الأخفش . وقيل : معناهما مختلف ؛ فمن خفف فهو اسم مثل عذاب وجواب وصواب ، ومن شدد قال : هو اسم فاعل للمبالغة نحو ضراب وقتال ﴿ **وآخر من شكله** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **وآخر** ﴾ مفرد مذكر ، وقرأ أبو عمرو : « وأخر » بضم الهمزة على أنه جمع ، وأنكر قراءة الجمهور لقوله أزواج ، وأنكر عاصم الجحدرى قراءة أبى عمرو وقال : لو كانت كما قرأ لقال : من شكلها ، وارتفاع آخر على أنه مبتدأ وخبره أزواج ، ويجوز أن يكون من شكله خبرا مقدما وأزواج مبتدأ مؤخرا والجملة خبر آخر ، ويجوز أن يكون خبرا آخر مقدرا ، أى وآخر لهم ، و﴿ **من شكله أزواج** ﴾ جملة مستقلة ؛ ومعنى الآية على قراءة الجمهور : وعذاب آخر أو مذوق آخر ، أو نوع آخر من شكل العذاب أو المذوق أو النوع الأول والشكل المثل ، وعلى القراءة الثانية يكون معنى الآية : ومذوقات أخر أو أنواع خر من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم . وإفراد الضمير فى شكله على تأويل المذكور ، أى من شكل المذكور ، ومعنى ﴿ **أزواج** ﴾ أجناس وأنواع وأشباه . وحاصل معنى الآية : أن لأهل النار حميما وغساقا وأنواعا من العذاب من مثل الحميم والغساق . قال الواحدى : قال المفسرون : هو الزمهرير ، ولا يتم هذا الذى حكاه عن المفسرين إلا على تقدير أن الزمهرير أنواع مختلفة وأجناس متفاوتة ليطابق معنى أزواج ، أو على تقدير : أن لكل فرد من أهل النار زمهريرا .

﴿ **هذا فوج مقتحم معكم** ﴾ الفوج : الجماعة . والاقتحام : الدخول ، وهذا حكاية لقول الملائكة الذين هم خزنة النار وذلك أن القادة والرؤساء إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع . قالت الخزنة للقادة : هذا فوج ، يعنون الأتباع ﴿ **مقتحم معكم** ﴾ أى داخل معكم إلى النار ، وقوله : ﴿ **لا مرحبا بهم** ﴾ من قول القادة والرؤساء لما قالت لهم الخزنة ذلك قالوا : لا مرحبا بهم ، أى لا اتسعت منازلهم فى النار ، والرحب : السعة ، والمعنى : لا كرامة لهم . وهذا إخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين الكفار ، وأن المودة التى كانت بينهم تصير عداوة . وجملة لا مرحبا بهم دعائية لا محل لها من الإعراب ، أو صفة للفوج ، أو حال منه أو بتقدير القول ، أى مقولا فى حقهم لا مرحبا بهم . وقيل: إنها من تمام قول الخزنة. والأول أولى كما يدل عليه جواب الأتباع الآتى ، وجملة: ﴿ **إنهم صالو النار** ﴾ تعليل من جهة القائلين : لا مرحبا بهم ، أى إنهم صالو النار كما صليناها ومستحقون لها كما استحقيناها . وجملة : ﴿**قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر ، أى قال الأتباع عند سماع ما قاله الرؤساء لهم : بل أنتم لا مرحبا بكم، أى لا كرامة لكم ، ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿**أنتم قدمتموه لنا**﴾ أى أنتم قدمتم العذاب أو الصلى لنا وأوقعتمونا فيه ودعوتمونا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن الحق ما أنتم عليه وأن الأنبياء غير صادقين فيما جاؤوا به ﴿ **بئس القرار** ﴾ أى بئس المقر جهنم لنا ولكم . ثم حكى عن الأتباع أيضا أنهم أردفوا هذا القول بقول آخر ، وهو : ﴿ **قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار** ﴾ أى زده عذابا ذا ضعف ، والضعف بأن يزيد عليه مثله، ومعنى ﴿ **من قدم لنا هذا** ﴾ : من دعانا إليه وسوغه لنا . قال الفراء : المعنى من سوغ لنا هذا

وسنه . وقيل : معناه : قدم لنا هذا العذاب بدعائه إيانا إلى الكفر فزده عذابا ضعفا في النار ، أي عذابا بكفره وعذابا بدعائه إيانا ، فصار ذلك ضعفا ، ومثله قوله سبحانه : ﴿ ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ﴾ [الأعراف : ٣٨] وقوله : ﴿ ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ [الأحزاب : ٦٨] وقيل : المراد بالضعف هنا : الحيات والعقارب .

﴿ **وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار** ﴾ قيل: هو من قول الرؤساء. وقيل : من قول الطاغين المذكورين سابقا . قال الكلبي : ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم من المؤمنين معهم فيها ، فعند ذلك قالوا : ﴿ **ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار** ﴾ وقيل : يعنون فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسالم وسلمان . وقيل : أرادوا أصحاب محمد على العموم ﴿ **أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار**﴾ قال مجاهد : المعنى: أتخذناهم سخريا في الدنيا فأخطأنا أم زاغت عنهم الأبصار فلم نعلم مكانهم ؟ والإنكار المفهوم من الاستفهام متوجه إلى كل واحد من الأمرين . قال الحسن : كل ذلك قد فعلوا : اتخذوهم سخريا، وزاغت عنهم أبصارهم. قال الفراء: والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب. قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وابن كثير والأعمش بحذف همزة اتخذناهم في الوصل ، وهذه القراءة تحتمل أن يكون الكلام خبرا محضا ، وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لـ ﴿ **رجالا** ﴾ ، وأن يكون المراد : الاستفهام ، وحذفت أداته لدلالة أم عليها ، فتكون أم على الوجه الأول منقطعة بمعنى بل والهمزة ، أي بل أزاغت عنهم الأبصار على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسخار ، ثم الإضراب والانتقال منه إلى التوبيخ على الازدراء والتحقير ، وعلى الثاني أم هي المتصلة . وقرأ الباقون بهمزة استفهام سقطت لأجلها همزة الوصل، ولا محل للجملة حينئذ وفيه التوبيخ لأنفسهم على الأمرين جميعا لأن أم على هذه القراءة هي للتسوية . وقرأ أبو جعفر ونافع وشيبة والمفضل وهبيرة ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائي : « سخريا » بضم السين ، وقرأ الباقون بكسرها . قال أبو عبيدة : من كسر جعله من الهزء ، ومن ضم جعله من التسخير. والإشارة بقوله : ﴿ **إن ذلك** ﴾ إلى ما تقدم من حكاية حالهم ، وخبر إن قوله : ﴿ **لحق** ﴾ أي لواقع ثابت في الدار الآخرة لا يتخلف البتة ، و﴿ **تخاصم أهل النار** ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، والجملة بيان لذلك ، وقيل : بيان لحق . وقيل : بدل منه . وقيل : بدل من محل ذلك ، ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر ، وهذا على قراءة الجمهور برفع تخاصم . والمعنى : إن ذلك الذي حكاه الله عنهم لحق لابد أن يتكلموا به ، وهو تخاصم أهل النار فيها ، وما قالته الرؤساء للأتباع وما قالته الأتباع لهم . وقرأ ابن أبي عبلة بنصب : « تخاصم » على أنه بدل من ذلك أو بإضمار أعني . وقرأ ابن السميقع : « تخاصم » بصيغة الفعل الماضي فتكون جملة مستأنفة .

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يقول قولا جامعا بين التخويف والإرشاد إلى التوحيد فقال: ﴿ **قل إنما أنا منذر** ﴾ أي مخوف لكم من عقاب الله وعذابه ﴿ **وما من إله** ﴾ يستحق العبادة ﴿ **إلا الله الواحد** ﴾ الذي لا شريك له ﴿**القهار**﴾ لكل شيء سواه . ﴿ **رب السموات**

والأرض وما بينهما ﴾ من المخلوقات ﴿ **العزيز** ﴾ الذى لا يغالبه مغالب الغفار لمن أطاعه . وقيل : معنى ﴿ **العزيز** ﴾ : المنيع الذى لا مثل له ، ومعنى ﴿ **الغفار** ﴾ : الستار لذنوب خلقه. ثم أمره سبحانه أن يبالغ فى إنذارهم ويبين لهم عظم الأمر وجلالته فقال : ﴿ **قل هو نبأ عظيم** ﴾ أى ما أنذرتكم به من العقاب وما بينته لكم من التوحيد هو خبر عظيم ونبأ جليل ، من شأنه العناية به والتعظيم له وعدم الاستخفاف به ، ومثل هذه الآية قوله : ﴿ عم يتساءلون . عن النبأ العظيم ﴾ [النبأ : ١ ، ٢] وقال مجاهد وقتادة ومقاتل : هو القرآن ، فإنه نبأ عظيم لأنه كلام الله . قال الزجاج : قل النبأ الذى أنبأتكم به عن الله نبأ عظيم ، يعنى : ما أنبأهم به من قصص الأولين، وذلك دليل على صدقه ونبوته لأنه لم يعلم ذلك إلا بوحى من الله . وجملة : ﴿ **أنتم عنه معرضون** ﴾ توبيخ لهم وتقريع لكونهم أعرضوا عنه ولم يتفكروا فيه فيعلموا صدقه ويستدلوا به على ما أنكروه من البعث .

وقوله : ﴿ **ما كان لى من علم بالملأ الأعلى** ﴾ استئناف مسوق لتقرير أنه نبأ عظيم ، والملأ الأعلى هم : الملائكة ﴿**إذ يختصمون** ﴾ أى وقت اختصامهم ؛ فقوله : ﴿ **بالملأ الأعلى** ﴾ متعلق بعلم على تضمينه معنى الإحاطة ، وقوله : ﴿ **إذ يختصمون** ﴾ متعلق بمحذوف ، أى ما كان لى فيما سبق علم بوجه من الوجوه بحال الملأ الأعلى وقت اختصامهم ، والضمير فى : ﴿**يختصمون** ﴾ راجع إلى الملأ الأعلى ، والخصومة الكائنة بينهم هى فى أمر آدم كما يفيده ما سيأتى قريبا . وجملة :﴿ **إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين** ﴾ معترضة بين اختصامهم المجمل وبين تفصيله بقوله: ﴿ **إذ قال ربك للملائكة** ﴾ . والمعنى : ما يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين . قال الفراء : المعنى : ما يوحى إلى إلا أننى نذير مبين ، أبين لكم ما تأتون من الفرائض والسنن وما تدعون من الحرام والمعصية . قال : كأنك قلت : ما يوحى إلى إلا الإنذار . قال النحاس : ويجوز أن تكون فى محل نصب بمعنى ما يوحى إلى إلا لأنما أنا نذير مبين . قرأ الجمهور بفتح همزة أنما على أنها وما فى حيزها فى محل رفع لقيامها مقام الفاعل،أى مايوحى إلى إلا الإنذار، أو إلا كونى نذيرا مبينا ، أو فى محل نصب ، أو جر بعد إسقاط لام العلة ، والقائم مقام الفاعل على هذا الجار والمجرور . وقرأ أبو جعفر بكسر الهمزة لأن فى الوحى معنى القول ، وهى القائمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية ، كأنه قيل : ما يوحى إلى إلا هذه الجملة المتضمنة لهذا الإخبار ، وهو أن أقول لكم : إنما أنا نذير مبين . وقيل : إن الضمير فى : ﴿ **يختصمون**﴾ عائد إلى قريش ؛ يعنى : قول من قال منهم : الملائكة بنات الله ، والمعنى : ما كان لى علم بالملائكة إذ تختصم فيهم قريش ، والأول أولى .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وغساق** ﴾ قال : الزمهرير ﴿**وآخر من شكله** ﴾ قال : من نحوه ﴿ **أزواج** ﴾ قال : ألوان من العذاب . وأخرج أحمد والترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن حبان ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن دلوا من غساق يهرق فى الدنيا

لأنتن أهل الدنيا »[١] . قال الترمذى بعد إخراجه : لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد . قلت : ورشدين فيه مقال معروف . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **فزده عذابا ضعفا فى النار** ﴾ قال : أفاعى وحيات .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **بالملأ الأعلى** ﴾ قال : الملائكة حين شوروا فى خلق آدم فاختصموا فيه ، وقالوا : لا تجعل فى الأرض خليفة . وأخرج محمد بن نصر فى كتاب الصلاة وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون** ﴾ قال : هى الخصومة فى شأن آدم حيث قالوا : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ [البقرة: ٣٠]. وأخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد ، والترمذى وحسنه ، وابن نصر فى كتاب الصلاة قال : قال رسول الله ﷺ : « أتانى الليلة ربى فى أحسن صورة ـ أحسبه قال : فى المنام ـ قال : يا محمد ، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا ، فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى أو فى نحرى ، فعلمت ما فى السموات والأرض ، ثم قال لى : يا محمد ، هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم فى الكفارات ، والكفارات : المكث فى المساجد بعد الصلوات ، والمشى على الأقدام إلى الجماعات، وإبلاغ الوضوء فى المكاره »[٢] الحديث . وأخرج الترمذى وصححه ، ومحمد بن نصر والطبرانى والحاكم وابن مردويه من حديث معاذ بن جبل نحوه بأطول منه [٣] ، وقال : «وإسباغ الوضوء فى السبرات » . وأخرج الطبرانى وابن مردويه من حديث جابر بن سمرة نحوه بأخصر منه . وأخرجا أيضا من حديث أبى هريرة نحوه ، وفى الباب أحاديث .

﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ**

---

(١) أحمد ٣/٢٨ والترمذى فى صفة جهنم (٢٥٨٤) وابن جرير ٢٣/١١٤،وصححه الحاكم ٤/٦٠٢ ووافقه الذهبى.

(٢) أحمد ١/٣٦٨ والترمذى فى التفسير (٣٢٣٤) وقال : « هذا حديث حسن غريب » كلاهما عن ابن عباس والدارمى ٢/١٢٦ عن عبدالرحمن ابن عائش .

(٣) الترمذى فى التفسير (٣٢٣٥) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » سألت محمد بن إسماعيل عنه فقال : « صحيح » والطبرانى ٢٠/١٠٩ (٢١٦) وأخرجه أحمد ٥/٢٤٣ .

منهم المخلصين (٨٣) قال فالحق والحق أقول (٨٤) لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (٨٥) قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين (٨٦) إن هو إلا ذكر للعالمين (٨٧) ولتعلمن نبأه بعد حين (٨٨) .

لما ذكر سبحانه خصومة الملائكة إجمالا فيما تقدم ذكرها هنا تفصيلا ، فقال : ﴿ **إذ قال ربك للملائكة** ﴾ « إذ » هذه هى بدل من ﴿ **إذ يختصمون** ﴾ لاشتمال ما فى حيز هذه على الخصومة . وقيل : هى منصوبة بإضمار اذكر ، والأول أولى إذا كانت خصومة الملائكة فى شأن من يستخلف فى الأرض . وأما إذا كانت فى غير ذلك مما تقدم ذكره فالثانى أولى ﴿ **إنى خالق بشرا من طين** ﴾ أى خالق فيما سيأتى من الزمن ﴿ **بشرا** ﴾ أى جسما من جنس البشر مأخوذ من مباشرته للأرض ، أو من كونه بادى البشرة . وقوله : ﴿ **من طين** ﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لبشر أو بخالق . ومعنى ﴿ **فإذا سويته** ﴾ : صورته على صورة البشر وصارت أجزاؤه مستوية ﴿**ونفخت فيه من روحى** ﴾ أى من الروح الذى أملكه ولا يملكه غيرى . وقيل : هو تمثيل ، ولا نفخ ولا منفوخ فيه . والمراد : جعله حيا بعد أن كان جمادا لا حياة فيه . وقد مر الكلام فى هذا فى سورة النساء ﴿ **فقعوا له ساجدين** ﴾ هو أمر من وقع يقع ، وانتصاب ﴿ **ساجدين** ﴾ على الحال ، والسجود هنا هو : سجود التحية لا سجود العبادة ، وقد مضى تحقيقه فى سورة البقرة.

﴿ **فسجد الملائكة** ﴾ فى الكلام حذف تدل عليه الفاء ، والتقدير : فخلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فسجد له الملائكة. وقوله : ﴿ **كلهم** ﴾ يفيد أنهم سجدوا جميعا ولم يبق منهم أحد . وقوله: ﴿ **أجمعون** ﴾ يفيد أنهم اجتمعوا على السجود فى وقت واحد ، فالأول لقصد الإحاطة، والثانى لقصد الاجتماع . قال فى الكشاف : فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقى منهم ملك إلا سجد ، وأنهم سجدوا جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات . وقيل : إنه أكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ﴿ **إلا إبليس** ﴾ الاستثناء متصل على تقدير أنه كان متصفا بصفات الملائكة داخلا فى عدادهم فغلبوا عليه ، أو منقطع على ما هو الظاهر من عدم دخوله فيهم ، أى لكن إبليس ﴿ **استكبر** ﴾ أى أنف من السجود جهلا منه بأنه طاعة لله ، وكان استكباره استكبار كفر ، فلذلك ﴿ **كان من الكافرين** ﴾ أى صار منهم بمخالفته لأمر الله واستكباره عن طاعته ، أو كان من الكافرين فى علم الله سبحانه ، وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى فى سورة البقرة والأعراف وبنى إسرائيل والكهف وطه . ثم إن الله سبحانه سأله عن سبب تركه للسجود الذى أمره به فقال : ﴿ **يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى** ﴾ أى ما صرفك وصدك عن السجود لما توليت خلقه من غير واسطة ، وأضاف خلقه إلى نفسه ؛ تكريما له وتشريفا ، مع أنه سبحانه خالق كل شىء كما أضاف إلى نفسه الروح ، والبيت والناقة والمساجد . قال مجاهد : اليد هنا بمعنى: التأكيد، والصلة مجازا كقوله: ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ [الرحمن : ٢٧] وقيل:

أراد باليد القدرة ، يقال : ما لى بهذا الأمر يد، وما لى به يدان ، أى قدرة ، ومنه قول الشاعر:

تحملت من ذلفاء ما ليس لى يد ولا للجبال الراسيات يدان

وقيل : التثنية فى اليد ؛ للدلالة على أنها ليست بمعنى القوة والقدرة ، بل للدلالة على أنهما صفتان من صفات ذاته سبحانه ، و« ما » فى قوله : ﴿ **لما خلقت** ﴾ هى المصدرية أو الموصولة . وقرأ الجحدرى : « لما » بالتشديد مع فتح اللام على أنها ظرف بمعنى حين كما قال أبو على الفارسى. وقرئ: « بيدى » على الإفراد ﴿ **أستكبرت** ﴾ قرأ الجمهور بهمزة الاستفهام ، وهو استفهام توبيخ وتقريع و﴿ **أم** ﴾ متصلة . وقرأ ابن كثير فى رواية عنه وأهل مكة بألف وصل، ويجوز أن يكون الاستفهام مرادا فيوافق القراءة الأولى كما فى قول الشاعر :

تروح من الحى أم تبتكر

وقول الآخر:

بسبع رمين الجمر أم بثمانٍ

ويحتمل أن يكون خبرا محضا من غير إرادة للاستفهام فتكون « أم » منقطعة ، والمعنى : أستكبرت عن السجود الذى أمرت به بل أكنت من العالين ، أى المستحقين للترفع عن طاعة أمر الله المتعالين عن ذلك ، وقيل: المعنى : أستكبرت عن السجود الآن أم لم تزل من القوم الذين يتكبرون عن ذلك ؟ ، وجملة : ﴿ **قال أنا خير منه** ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر ، ادعى اللعين لنفسه أنه خير من آدم ، وفى ضمن كلامه هذا أن سجود الفاضل للمفضول لا يحسن . ثم علل ما ادعاه من كونه خيرا منه بقوله : ﴿ **خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ وفى زعمه أن عنصر النار أشرف من عنصر الطين ، وذهب عنه أن النار إنما هى بمنزلة الخادم لعنصر الطين إن احتيج إليها استدعيت كما يستدعى الخادم وإن استغنى عنها طردت ، وأيضا فالطين يستولى على النار فيطفئها ، وأيضا فهى لا توجد إلا بما أصله من عنصر الأرض ، وعلى كل حال فقد شرف آدم بشرف وكرم بكرامة لا يوازيها شىء من شرف العناصر ، وذلك أن الله خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه ، والجواهر فى أنفسها متجانسة ، وإنما تشرف بعارض من عوارضها .

وجملة: ﴿**قال فاخرج منها**﴾ مستأنفة كالتى قبلها،أى فاخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة. ثم علل أمره بالخروج بقوله: ﴿ **فإنك رجيم** ﴾ أى مرجوم بالكواكب مطرود من كل خير. ﴿**وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين** ﴾ أى طردى لك عن الرحمة وإبعادى لك منها، ويوم الدين: يوم الجزاء، فأخبر سبحانه وتعالى أن تلك اللعنة مستمرة له دائمة عليه ما دامت الدنيا، ثم فى الآخرة يلقى من أنواع عذاب الله وعقوبته وسخطه ما هو به حقيق ، وليس المراد: أن اللعنة تزول عنه فى الآخرة ، بل هو ملعون أبدا ، ولكن لما كان له فى الآخرة ما ينسى عنده اللعنة ، ويذهل عند الوقوع فيه منها صارت كأنها لم تكن بجنب ما يكون فيه. وجملة : ﴿ **قال رب فأنظرنى إلى يوم**

يبعثون﴾ مستأنفة كما تقدم فيما قبلها، أى أمهلنى ولا تعاجلنى إلى غاية هى يوم يبعثون، يعنى: آدم وذريته . ﴿ **قال فإنك من المنظرين** ﴾ أى الممهلين ﴿ **إلى يوم الوقت المعلوم** ﴾ الذى قدره الله لفناء الخلائق، وهو عند النفخة الآخرة. وقيل: هو النفخة الأولى. قيل: إنما طلب إبليس الإنظار إلى يوم البعث ليتخلص من الموت ، لأنه إذا أنظر إلى يوم البعث لم يمت قبل البعث ، وعند مجىء البعث لا يموت ، فحينئذ يتخلص من الموت . فأجيب بما يبطل مراده ، وينقض عليه مقصده ، وهو الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو الذى يعلمه الله ولا يعلمه غيره .

فلما سمع اللعين إنظار الله له إلى ذلك الوقت قال : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين** ﴾ فأقسم بعزة الله أنه يضل بنى آدم بتزيين الشهوات لهم ، وإدخال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعا . ثم لما علم أن كيده لا ينجع إلا فى أتباعه وأحزابه من أهل الكفر والمعاصى ، استثنى من لا يقدر على إضلاله ولا يجد السبيل إلى إغوائه فقال : ﴿ **إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ أى الذين أخلصتهم لطاعتك وعصمتهم من الشيطان الرجيم . وقد تقدم تفسير هذه الآيات فى سورة الحجر وغيرها . وقد أقسم هاهنا بعزة الله ، وأقسم فى موضع آخر بقوله : ﴿ فبما أغويتنى ﴾ [الأعراف : ١٦] ولا تنافى بين القسمين فإن إغواءه إياه من آثار عزته سبحانه ، وجملة: ﴿**قال فالحق والحق أقول**﴾ مستأنفة كالجمل التى قبلها . قرأ الجمهور بنصب الحق فى الموضعين على أنه مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب ، أوهما منصوبان على الإغراء ، أى الزموا الحق ، أو مصدران مؤكدان لمضمون قوله : ﴿ **لأملأن جهنم** ﴾ وقرأ ابن عباس ومجاهد والأعمش وعاصم وحمزة برفع الأول ونصب الثانى ، فرفع الأول على أنه مبتدأ وخبره مقدر ، أى فالحق منى ، أو فالحق أنا ، أو خبره لأملأن ، أو هو خبر مبتدأ محذوف ، وأما نصب الثانى فبالفعل المذكور بعده ، أى وأنا أقول الحق ، وأجاز الفراء وأبو عبيد أن يكون منصوبا بمعنى حقا لأملأن جهنم. واعترض عليهما بأن ما بعد اللام مقطوع عما قبلها . وروى عن سيبويه والفراء أيضا أن المعنى فالحق أن إملاء جهنم . وروى عن ابن عباس ومجاهد أنهما قرآ برفعهما ، فرفع الأول على ما تقدم، ورفع الثانى بالابتداء ، وخبره الجملة المذكورة بعده والعائد محذوف . وقرأ ابن السميقع وطلحة بن مصرف بخفضهما على تقدير حرف القسم . قال الفراء : كما يقول الله عز وجل لأفعلن كذا ، وغلطه أبو العباس ثعلب وقال : لا يجوز الخفض بحرف مضمر، وجملة : ﴿**لأملأن جهنم** ﴾ جواب القسم على قراءة الجمهور ، وجملة : ﴿ **والحق أقول** ﴾ معترضة بين القسم وجوابه ، ومعنى ﴿ **منك** ﴾ أى من جنسك من الشياطين ﴿ **وممن تبعك منهم** ﴾ أى من ذرية آدم فأطاعوك إذ دعوتهم إلى الضلال والغواية و﴿ **أجمعين** ﴾ تأكيد للمعطوف والمعطوف عليه، أى لأملأنها من الشياطين وأتباعهم أجمعين .

ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم بأنه إنما يريد بالدعوة إلى الله امتثال أمره لا عرض الدنيا الزائل ، فقال : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر** ﴾ والضمير فى : ﴿ **عليه** ﴾ راجع إلى تبليغ الوحى ولم يتقدم له ذكر ، ولكنه مفهوم من السياق . وقيل : هو عائد إلى ما تقدم من

قوله : ﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ [ص : ٨] وقيل : الضمير راجع إلى القرآن . وقيل : إلى الدعاء إلى الله على العموم ، فيشمل القرآن وغيره من الوحى ومن قول الرسول ﷺ . والمعنى: ما أطلب منكم من جعل تعطونيه عليه ﴿ **وما أنا من المتكلفين** ﴾ حتى أقول ما لا أعلم إذ أدعوكم إلى غير ما أمرنى الله بالدعوة إليه،والتكلف: التصنع . ﴿**إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ أى ما هذا القرآن ، أو الوحى ، أو ما أدعوكم إليه ، إلا ذكر من الله عز وجل للجن والإنس . قال الأعمش: ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين ﴿**ولتعلمن**﴾ أيها الكفار ﴿ **نبأه** ﴾ أى ما أنبأ عنه وأخبر به من الدعاء إلى الله وتوحيده ، والترغيب إلى الجنة والتحذير من النار ﴿**بعد حين** ﴾ قال قتادة والزجاج والفراء : بعد الموت . وقال عكرمة وابن زيد : يوم القيامة . وقال الكلبى : من بقى علم ذلك لما ظهر أمره وعلا ، ومن مات علمه بعد الموت. وقال السدى: وذلك يوم بدر.

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس : ﴿ **إذ يختصمون** ﴾ أن الخصومة هى : ﴿ **إذ قال ربك** ﴾ إلخ. وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ فى العظمة، والبيهقى عن ابن عمر قال : خلق الله أربعا بيده: العرش، وجنة عدن، والقلم ، وآدم [١] . وأخرج ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة ، وأبو الشيخ فى العظمة ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ : « خلق الله ثلاثة أشياء بيده : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده » [٢] . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد فى قوله : ﴿ **فالحق والحق أقول** ﴾ قال : أنا الحق أقول الحق . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر** ﴾ قال : قل يا محمد ﴿ **ما أسألكم عليه** ﴾ ما أدعوكم إليه ﴿**من أجر**﴾ عرض دنيا. وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن مسروق قال: بينما رجل يحدث فى المسجد ، فقال فيما يقول : ﴿ يوم تأتى السماء بدخان مبين ﴾ [الدخان: ١٠] قال : دخان يكون يوم القيامة يأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ، ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام، قال : قمنا حتى دخلنا على عبد الله وهو فى بيته وكان متكئا فاستوى قاعدا فقال : يأيها الناس ، من علم منكم علما فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإن من العلم أن يقول العالم لما لا يعلم : الله أعلم ، قال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ [٣] أخرج البخارى عن عمر قال: نهينا عن التكلف [٤] . وأخرج الطبرانى والحاكم والبيهقى عن سلمان قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف [٥] .

---

(١) ابن جرير ٢٣/ ١١٩ والبيهقى فى الأسماء والصفات ٢/ ٤٨ وصححه الحاكم ٢/ ٣١٩ ووافقه الذهبى .

(٢) البيهقى فى الأسماء والصفات ٢/ ٤٧ وقال : « هذا حديث مرسل ، وفيه إن ثبت دلالة على أن الكتب ههنا بمعنى الخلق، وإنما أراد خلق رسوم التوراة وهى حروفها، وأما المكتوب فهو كلام الله صفة من صفات ذاته».

(٣) البخارى فى التفسير (٤٨٠٩) ومسلم فى صفات المنافقين (٣٩/٢٧٩٨) والترمذى فى التفسير (٣٢٥٤) وقال: « هذا حديث حسن صحيح» والنسائى فى التفسير (٢٢٢) .

(٤) البخارى فى الاعتصام (٧٢٩٣) .

(٥) الطبرانى (٦٠٨٤) والحاكم ٤/ ١٢٣ وسكت عنه وقال الذهبى : « فى سنده لين » ، والبيهقى فى الشعب (٩٦٠٠) .ط . دار الكتب العلمية .